الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

سجل تحت رقم
الجرد
الرقم

نشأة المنطوق الجزائري من خلال الكتابات العربية والاستشراقية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات

إعداد الطالبة :
عويشة بوحامد المولودة حساين

إشراف:
أ.د التيجيني بن عيسى

لجنة المناقشة

أ.د عكاشة شايف	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
أ.د التيجيني بن عيسى	مشرفا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
أ.د عبد الرحمان خربوش	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
د عبد الجليل منقور	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة بلعباس
د عبد الحق زريوح	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان

السنة الجامعية: 2008/2007 م =1429/1428 هـ

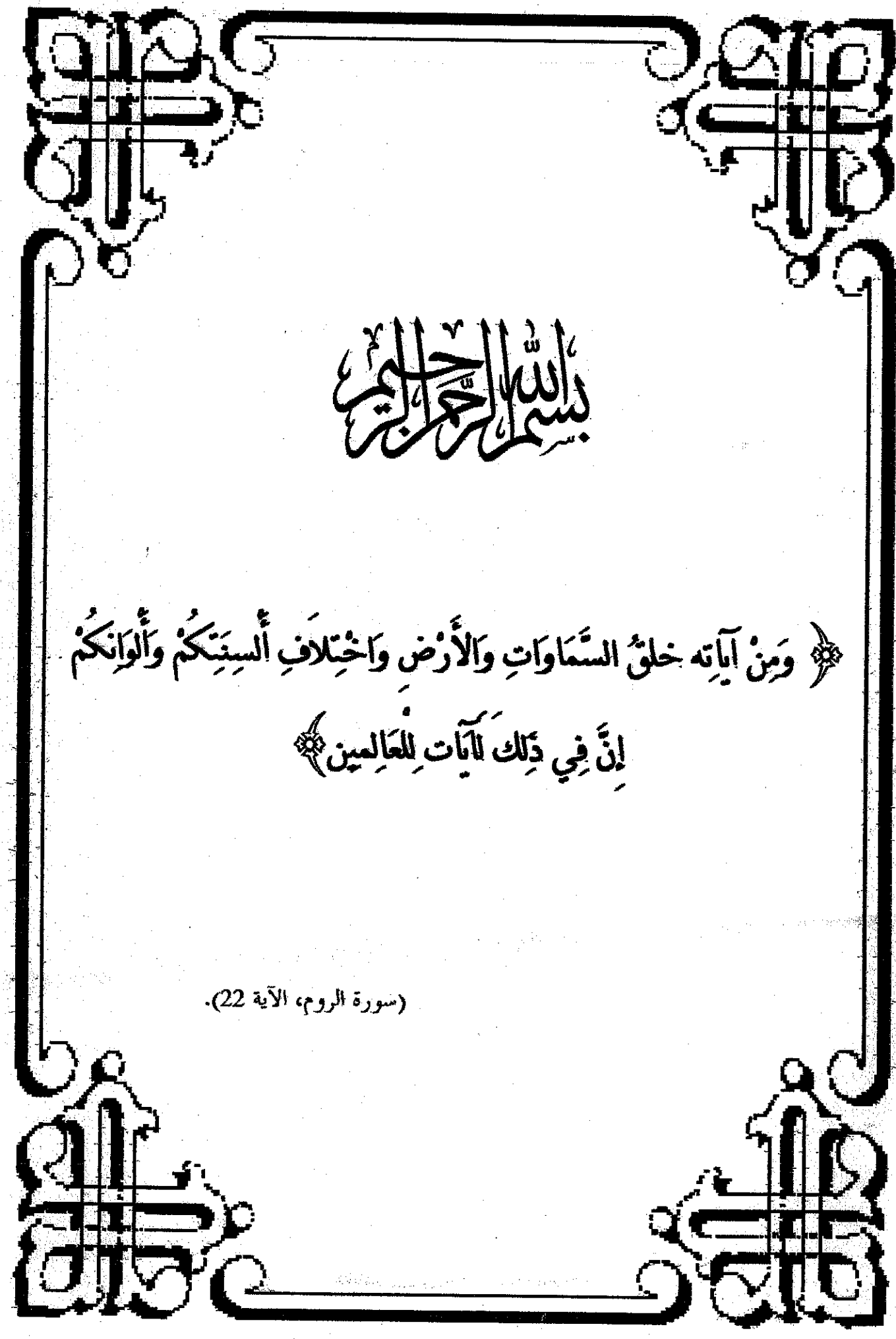

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾

(سورة الروم، الآية 22).

الإهـــداء

إلى والدتي التي أرشدتني وشجّعتني دائمًا على الدراسة والبحث

إلى أبي الذي قدّم لي كلّ المساعدة والنصائح التي كنت بحاجة إليها

إلى زوجي الكريم الذي ساندني في عملي ولم يدّخر جهدًا في معاونتي

إلى أختي التي كانت السبب الرئيسي لإلتحاقي بالجامعة

إلى بناتي العزيزات

إلى أخويّ الفاضلين

إلى صديقتي في الله زليخة

إلى المرحوم أبوزوجي الكريم

وأخيرًا إلى أستاذي المحترم الأستاذ الدكتور التيجيني بن عيسى

كلمة شكر

إلى أستاذي الفاضل الدكتور التيجيني بن عيسى

إلى الأستاذ سيدي محمّد نقادي

إلى الأستاذ عبد العزيز سعيدي

إلى كل من شارك في مساعدة هذه المادة العلمية،

ولم يبخل بعلم ولا جهد ولا وقت،

فجزاهم الله عنّا خير الجزاء

مقدمة

إنّ غزارة اللهجات في المغرب العربي الكبير، جعلت الدارسين يهتمّون أكثرَ بدراسة هذه اللهجات، وهذا دون إهمالهم لدراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أثّرت في تطوّرها عبر الأزمنة.

ومن هنا، يتّضح لنا أنّ الظواهر اللغوية الموجودة في لهجة ما لا يمكن ضبطها وفهمها إلاّ بإدماجها وربطها بعلوم أخرى مثل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا وغيرها.

لا يمكن القول إنّه يمكن لأيّ لغةٍ أن تبقى حبيسة و مقيدة، لأنّها في تطور مستمرّ، ولأنّها أدّاة للتواصل، حتما قد تتصل بلغات تجاورها، كَلغاتِ الوافدين إلي بلدٍ ما سلميًّا، مثل المهاجرين طالبي العلمَ والمعرفةَ، أو الباحثين عن العمل، أو القادمين إلى هذا البلد أو ذاك عنفًا وبقوّة السيف، وهذا ما حدث في شمال إفريقيا.

كان الموقع الجغرافي "الإستراتيجي" لمنطقة شمال إفريقيا، السبب الرئيس في دخول أجناس مختلفة إلى بلدانه. وقد نتج عن هذه الحقيقة التاريخية، اتّصال أهاليه بالكثير من اللغات الأجنبية، نذكر منها اللغة البونيقية والإغريقية واللاتينية والجرمانية والعربية والإسبانية والإيطالية والتركية والفرنسية، كما

كان للهجات هؤلاء الأهالي اتّصالاتٌ أخرى بلهجات الجاليات اليهودية والمصرية القديمة عبر الحدود الشرقية، وكلّ اللغات ذات الأصل اللاتيني المنطوق بها على الساحل الشمالي لحوض البحر المتوسّط، واللهجات التي لا تنتمي إلى لغة الرومان : مثل الكطلان (*le Catalan*)، والبسك (*leBasque*)، واللنقدوك (*le Languedocien*)، كما كان لجنوب بلاد المغرب اتّصالات مع اللغات الإفريقية : مثل الهَوْسا (*le Haoussa*)، والسنغاي (*le Saunghai*) وذلك في أقدم العصور. وهذه اللغات واللهجات كلها قد أثرت وتأثرت حتما بلهجات السكّان المحلّيين الأصليين، وهذا أمرٌ طبيعي، وهذا ما أقره علي عبد الواحد وافي إذ قال:« فمن المتعذّر أن تظلّ لغة بمنأ من الاحتكاك بلغة أخرى.» ومعنى هذا، أنّ احتكاك اللهجة الجزائرية بتلك اللغات، وتأثُّرِها بها أدّيا إلى اقتباس مفردات عديدة، وهذه أهمّ ناحية يظهر فيها هذا التأثير بكلّ وضوح.

والجدير بالذكر أنّ الكلمات التي أُخِذت من لغات أجنبية لا تبقى على حالها الأصلي، فهي بدون شك تتعرّض للتحريف وخاصّة في النطق بأصواتها، كما وضح ذلك الأستاذ علي وافي قائلا: «تخضع في الغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها. فينالها كثيرٌ من التحريف في أصواتها

وطريقة النطق بها، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة.» بل لا بدّ من التأكيد أنّ معاني تلك الكلمات الدخيلة إما أن تحافظ على معناها الأصلي، وإما أن تتغيّر بمرور الزمن.

اقترح علماء ودارسون مختصّون في الدراسات اللهجية آراء ونظريات مختلفة حول ظهور اللهجة المغاربية بشكل عام، واللهجة الجزائرية بشكل خاص.

فعبد الرحمن ابن خلدون في كتابه "**المقدمة**"، يرى أنّ المنطوق المغاربي العربي والذي عبر عنه بفساد اللسان العربي، نشأ بعد الفتح الإسلامي فيقول :«إنّ اللهجة المغاربية، ليست بلغة مضر، كما أنّها ليست بلغة العرب البدو الذين عاصرهم واحتكّ بهم، **ولكنّه يرى أنّ اللهجاتِ الأمازيغية سايرت اللغة العربية مدّةً طويلةً من الزمن ، فانجرّ و نتج عن هذا التمازجِ هذه اللهجة، التي هي عبارة عن مفردات عربية، معظمها صيغت في قوالب وتراكيب أمازيغية، أو بعبارة أخرى أنّها تكوّنت بالاقتباس من العربية و الأمازيغية.**»

ويرى بعض اللغويين والمؤرّخين أنّ اللهجات المغاربية الحديثة، ما هي إلاّ امتدادٌ للهجات عربية قديمة. وقد اعتمدوا في رأيهم هذا على ما كان من

صلات قائمة بين القبائل الليبية العريقة في القِدم، وبين قاطني شبه الجزيرة العربية. فأولئك الباحثون والدارسون تعرّضوا إلى دراسة تاريخ الهجرات التي جاءت من اليمن، فاستنتجوا منها، أنّ اليمن كان المنطلقَ الأساس لهجرات مجموعات من أبنائه، في فترات متعاقبة، إلى كل من شبه جزيرة العرب وشمال إفريقيا، وأنّ تلك الهجرات المتتاليةَ هي التي أدّت إلى دخول اللغة العربية في وقتٍ مبكّرٍ وبكيفيةٍ تدريجيةٍ إلى شمال إفريقيا.

سجّل عبد الرحمان الجيلالي في كتابه ***تاريخ الجزائر العام***، وفي معرض حديثه عن لغة ولهجات سكان المغرب العربي قائلا: «أمّا عن لغتهم ولهجتهم، فلم يحدّثنا التاريخ عنهما بشيء، ولا يبعد أن تكون أخت لغة قدماء المصريين والليبيين، وخصوصًا إذا ما اعتمدنا على قولة من يقول إنّ قدماءَ المصريين من سلالة سكّان الجزائر ومراكش. وهذا الرأي سيعود أساسًا إلى اعتبار هجرة الجاليات العربية الأولى التي حدثت حوالي سنة 3.500 ق م، في اتّجاه شعبين اثنين : إحداهما نحو دجلة والفرات، والأخرى نحو وادي النيل. وهذه الهجرة هي التي مهّدت السبيل لامتداد تلك الظاهرة واتّصالها ببلاد المغرب، فتوحّدت تلك اللغة واللهجة كما أثّر ذلك في امتزاج السكّان بعضهم ببعض.»

أمّا المستشرقون، فيَرَوْن أنّ اللهجات المغاربية عامّة، والجزائرية خاصّة نشأت بعد الغزو الإسلامي؛ أي «إنّهم يعتقدون أنّ ذلك الفتحَ كان غزوًا»، وقد فُرضت اللغة العربية على أهالي شمال إفريقيا الذين أُجْبِرُوا واضطرّوا على تعلُّمها، كما أنّهم – المستشرقون – يربطون تعريب المغرب العربي إلى قدوم قبائل بني هلال وبني سليم وبني معقل التي وصفوها بالوحشية والهمجية.

ثمّ إنّهُم يعتقدون أنّ هناك تماثُلاً لغويًّا بين اللغة الأمازيغية ولغةُ الوندال التي تعُود إلى الأصل الجرماني. والحقيقة أنّ هذا الأمر لا يعدو الجانب المعجمي، إذ أن هناك بعض الكلمات الأمازيغية المعدودة التي لها مقابلات لفظية وليست دلالية في اللغة الجرمانية. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ، إذ تمكّن علم اللسانيات الحديث من اكتشاف الكثير من هذه الظواهر اللغوية الناشئة إمّا عن طريق الاقتراض اللغوي، أو عن طريق الصدفة. وصفوة القول، أنّ المستشرقين لجئوا إلى كلّ الوسائل لربط الجزائر بأوربا حتّى يبرّروا احتلال هذه البلاد من قِبَلِ فرنسا.

لم نتعرّض في هذا البحث، للمقابلات اللسانية بين اللهجات الأمازيغية والجرمانية، ولكنّنا أردنا شرح نظريات بعض الباحثين العرب والمستشرقين عن نشأة المنطوق الجزائري العربي خاصّة والمغاربي عامّة.

ولقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع الذي سمّيناه : «**نشأة المنطوق الجزائري من خلال الكتابات العربية والاستشراقية**» ، والذي طرأ عليه بعض التغيّرات إذ أضفنا كلمة العربي لعدم دراستنا الواقع اللهجي الأمازيغي، وكذلك استعملنا مصطلح اللهجة بدلا من المنطوق، وذلك لأنّ مصطلح "اللهجة" مصطلح علمي دقيق، وهو واسع الاستعمال في معظم المصادر والمراجع.

إننا نعتبر هذه الدراسة دراسة علمية محضة بعيدة كلّ البعد عن الإيديولوجية، وعن الصبغة أو النزعة الدينية، كما أنّنا لا نطمح لإيجاد حلٍّ لمشكلة مختلف الوقائع والظواهر اللغوية التي تحتويها اللهجة الجزائرية.

أمّا الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، فيمكن حصرها في نوعين: أسباب ذاتية وأسباب موضوعية.

أ) الأسباب الذاتية :

1°) إنّ المستشرقين الغربيين وأنصارَهم من كلّ الأمم والمعتقدات المختلفة طعنوا في الهوية الوطنية الجزائرية، وبالغوا في طعنهم هذا، متجاوزين كلّ الحدود المنطقية، مع تزيين ضرباتهم السامّة القاتلة بالطابع العلمي.

2°) قِلّة الأبحاث العلمية الجادّة من طرف الباحثين العرب، حول لهجات المغرب العربي الكبير عمومًا والجزائر خصوصًا.

ب) الأسباب الموضوعية :

1°) محاولة تبيان مسار التعريب في الجزائر أوّلا، ثمّ في المغرب العربي الكبير ثانيًا، وظهور اللهجات المختلفة فيه.

2°) الاهتمام المبالغ من قِبَل المستشرقين في دراسة اللهجات العربية عامّةً والجزائرية بوجه الخصوص.

تِلكم هي الأسباب التي شجّعتنا على القيام بالبحث في هذا الموضوع.

ومن أهمّ الإشكالات التي أثرناها لمعالجة هذا الموضوع، والتي حاولنا جاهدين أن نجيب عنها، هي كمايلي:

1°) هل يمكن إعادة النظر حول كيفية نشوء لهجات المغرب العربي عامّة، والجزائر خاصّة؟

2°) ما هي أهداف المستشرقين من وراء اهتمامهم المبالَغ في دراسة التراث اللغوي والثقافي للمنطقة؟

3°) ما هي الأسباب التي جعلت المستشرقين لا ينكرون، ولا يُشيرون إلى قدوم قبيلة لوّاتة العربية إلى منطقة شمال إفريقيا، خلال القرن الثاني بعد ميلاد سيّدنا عيسى عليه السلام؟

4°) هل تمَّ التعريب الفعلي والحقيقي من قِبل الفاتحين المسلمين الأوائل، أم كان تكملةً لِما تعلّمه الأمازيغ من العرب القادمين من شبه جزيرتهم إلى الشمال الإفريقي قَبلَ ظهور الإسلام؟

لا يخلو أي بحث من الصعوبات، ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي قلة المصادر والمراجع التي تتعرض لدراسة لهجات المغرب العربي، وبالأخص اللهجة الجزائرية وذلك من الجانب التاريخي التأصيلي؛ أي لم نعثر على دراسات خاصة تتناول كيف نشأة هذه اللهجات، وما العوامل التي ساعدت على تكوُّنِها، إلا أننا وجدنا دراسات أجنبية قليلة ساعدتنا بشكل كبير في

إنهاء هذا البحث. وأما المراجع التي تتناول وتدرس اللهجة من الجانب اللساني فهي كثيرة، إذ تزخر مكتبات الجامعات المغاربية، والجزائرية على الأخص برسائل جامعية تتناول بالدراسة عدة لهجات.

واقتضت طبيعة الموضوع أن تأتي خطته موزعة على النحو التالي: مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أمّا المدخل المعنون بـــ: "**أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين العرب والأوروبيين**"، تناولنا فيه مفهوم اللهجة وعوامل نشأة اللهجات، ومفهوم علم اللهجات، كما تعرضنا إلى أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين العرب والأوربيين.

وأمّا الفصل الأول الموسوم بـــ " **اتصال الجزائر بمختلف الشعوب وأثره في نشوء وضعية لغوية مميزة**"، بيّنا فيه مختلف النظريات حول أصل سكّان شمال إفريقيا، ثم عرضنا مختلف اتصالات الجزائر مع الأمم المختلفة التي أثّرت وتأثّرت بها لغويا وثقافيا واجتماعيا، كما وضّحنا أثر هذه الاتصالات في نشأة وضعية لغوية مميزة في الجزائر.

وتأثّرت بها لغويا وثقافيا واجتماعيا، كما وضّحنا أثر هذه الاتصالات في نشأة وضعية لغوية مميزة في الجزائر.

وأمّا الفصل الثـــاني "**نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات العربية**" فخصصنا جزءًا منه لتوضيح العلاقة بين اللهجات العربية القديمة واللهجات العربية الحديثة، ثم أوردنا بعض ظواهر الإبدال في اللهجة الجزائرية من خلال البحث عن نماذج تشبهها في اللهجات العربية القديمة، ثم وقفنا بالشرح والتحليل على جهود أسلافنا في مختلف النظريات التي شرحت كيفية نشأة اللهجات العربية الجزائرية.

وأما الفصـــل الثـــالث الموسوم بـــ "**نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات الإستشراقية**"، فتطرقنا فيه إلى تعريف الإستشراق وأهدافه، ثمّ عرّفنا بعض المستشرقين، وعرضنا بعض أبحاثهم عن نشأة اللهجات العربية الجزائرية.

استلزم هذا البحث استخدام المنهج التاريخي والإجراءان الوصفي والمقارن في بعض الأحيان، مع الاستعانة ببعض الطرق الأخرى، ذات الأثر البارز في استخلاص نتائج البحث كالتحليل و التعليل و التفسير، وغيرها.

وقد استعنا في دراستنا لهذا الموضوع ببعض المصادر والمراجع وكان في مقدّمتها :

المقدمة، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، **والمغرب الكبير-1- العصور القديمة** لرشيد الناضوري، **ودراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة** لمحمد حارش، **والبربر عرب قدامى** لمحمد المختار العرباوي، **وتاريخ الجزائر العام** لعبد الرحمان الجيلالي، **والمملكة النوميدية والحضارة البونية، و التوسّع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسّط** لمحمد الصغير غانم.

كما استعنا ببعض الدراسات في مجال اللهجات العربية مثل **اللهجات العربية نشأة وتطورا** لعبد الغفار حامد هلال، **واللهجات العربية في التراث** لأحمد علم الدين الجندي، **ولحن العامة والتطور اللغوي** لرمضان عبد التواب، **ومعجم شمال المغرب: تطوان و ما حولها** لعبد المنعم سيّد عبد العال، **والمستوى اللغوي للفصحى واللهجات في النثر و الشعر** لمُحمّد عبيد.

ومن الكتب الأجنبية فقد اعتمدنا على:

-*Le passé de l'Afrique du Nord (les siècles obscurs) par E.F.Gautier.*

-*L'encyclopédie islamique (tome I)*

-*L'arabisation de l'Afrique du Nord par William Marçais.*

-*La revue Africaine 1893 Vol 3.*

-*Trames de langues au Maghreb par Jocelyne Dazila.*

.وفي ختام هذه السطور ما يسعنا إلا أن نشكر جزيل الشكر أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور ***التيجيني بن عيسى*** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته حتى صار البحث على صورته هاته، فله كل الاحترام والتقدير.

ختاما نسأل الله عزّ وجلّ أن يلهمنا السداد والتوفيق، آملين أن نكون قد ألممنا ببعض ضروب هذا الموضوع، واستجلينا فوائده وأغراضه، وإننا لنرجو مخلصين أن يكون هذا العمل إضافة في حقل الدراسات اللهجية، ونأمل مستقبلا أن يُوَسّع هذا البحث ويُدرس من الجوانب التي لم تُدرس، والتي من شأنها أن تعمق الدراسة وتعطي نتائج أوفر وأعمق وأدق.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

عويشـــة حســـاين

تلمسان في: 12 جمادى الثاني 1429هـ الموافق لـ 16 جوان 2008.

مـــدخل

أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين

العرب والأوروبيين

في خضم الحياة اليومية، يقبل الفرد على شتى المجالات، الأمر الذي يفرض عليه نوعا من أشكال التخاطب والحديث في تعامله مع الآخرين، هذا الحديث العادي الذي يجري على ألسنتنا عرف العديد من المصطلحات؛ كاللهجة والعامية والدارجة وكلها تصبّ في نفس المعنى.

لكن قبل أن نتطرق إلى مفهوم اللهجة لغة واصطلاحا، وجب علينا أن نعطي تعريفًا لبعض المصطلحات كمفهوم العامية، والدارجة، والمنطوق. كما أننا في بحثنا هذا سنستعمل مصطلح اللهجة لكثرة استعماله في الدراسات اللغوية الحديثة.

1-مفهوم العامية: الكلام العامي هو المنسوب إلى العامة، فالعامية هي التي "تغيرت فيها بعض مخارج الحروف واختفى بعض معالمها وملامحها الأصلية نتيجةً لعبث الألسنة العامة بها واختلاطها بلغات دخيلة غير أنها تبقى مع ذلك محتفظة ببنيتها العميقة وبمعدنها العربي الأصيل"[1]

[1]- عبد الكريم بكري، فصول في اللغة والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، وهران، 1997، ص55.

2-مفهوم الدارجة: نمط من الأنماط اللهجية ذو الاستعمال الضيق والمحصور بين التواصلات الأسرية، يعرفه k.m petyt بأنه" نمط من الكلام ينتقل من الوالد إلى طفله باعتباره وسيلة أولية للاتصال"، فالدارجة جزء من العامية، والعامية تشترك فيها عدة دارجات مختلفة ولا يمكننا أن نقول العكس[1].

3-مفهوم المنطوق: جعل دارسو اللغات مصطلح المنطوق في مقابل الشكل المكتوب للغات واللهجات لأن "معظم الاختلافات في النطق التي تتميز بها اللهجات المختلفة والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة... والكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة وحركات، ونغمة في الصوت، توضح الكلام الملفوظ"[2]. فمصطلح المنطوق: يمثل جميع المظاهر الصوتية في

---

[1]-ينظر:

هتهوت محمد، المصطلح في علم اللهجات-دراسة إحصائية- مخطوط مذكرة ماجيستير في علم اللهجات،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2005 - 2006 ص26-27.

[2] نفسه، ص26 ص 40.

اللهجة، لذلك فهو أعمّ من مصطلح أسلوب النطق (accent) فهو الشكل الصوتي للهجة[1].

4-مفهوم اللهجة:

أ-لغة:

لَم يستعمل العرب قديما لفظةَ " **لَهْجَة** " كمصطلح علمي وإنَّما استعملوه للدلالة على عدّة معاني، فلسان العرب مثلا ، يورد للهجة معاني متعددة، نذكر منها أنّ اللَّهْجَةَ واللَّهَجَةَ هي طَرَفُ اللِّسَانِ، واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ : جَرَسُ الكَلَامِ والفَتْحُ أَعلَى، ويقال : فُلَانٌ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ واللَّهَجَةِ، وهِيَ لُغَتُهُ التي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا ونَشَأَ عَلَيْهَا[2]

ويورد صاحب اللسان تعريفا للجَوْهَرِي مفاده أنّ الفعل لَهِجَ به، بالكَسْرِ، يَلْهَجُ لَهْجًا إِذَا أُغْرِيَ بِه فَثَابَر عَلَيْه.[3]

---

[1] السابق، ص40.

[2] – ابن منظور الإفريقي المصري، " لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر بيروت، الطبعة الثالثة 2004 – مادة لَهج – ص 241.

[3] – نفسه.

واللَّهْجَةُ: اللِّسَانُ، وقد يُحَرَّكُ وفي الحديث الشريف الصحيح:« ما من ذي لَهْجَةٍ أَصْدَقُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ.» وفي حديث آخر: « أَصْدَقُ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»؛ قال: اللَّهْجَةُ اللِّسَانُ.[1]

ب-اصطلاحا:

أمّا اللهجة في الاصطلاح اللغوي الحديث، فهي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئةُ اللهجة هي جزءٌ من بيئةٍ أوسعَ وأشْملَ، تضمّ عدّةَ لَهجات، لكلٍّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعها في مَجموعة من الظواهرِ اللغويةِ التي تُيسِّر اتصالَ أفرادِ هذه البيئاتِ بعضُهم ببعض، وتسهّل فهمَ ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقّف على قدر الصلة التي تربط بين اللهجات وتلك البيئة الشاملة التي تستعمل فيها عدّة لَهجات، هي التي اُصطُلِحَ على تسميتها باللغة.[2]

---

[1]-السابق،ص 241.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس في اللهجات العربية ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،ط9، 1995 ص 16.

لقد كان علماء العرب في القديم لا يفرّقون بين اللغة واللهجة في استعمالاتِهم، إذ كانوا يقولون لغةَ تَميم ولغةَ هُذيل وهكذا، وهم يقصدون اللهجةَ بقولِهم ذلك.

ولقد بيَّن عبده الراجحي ذلك حين قال: «العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقةُ الخاصِّ بالعامِّ أو الفرعِ بالأصل، غير أنَّ اللغويينَ العربَ القدماءَ حين أشاروا إلى الفروق بين لَهجات القبائلِ العربية، لم يستعملوا مصطلح اللهجة بِهذا المفهوم. إنّما كانوا يستعملون مصطلح " لغة" أو" لُغية" ولعلَّ السبب في ذلك، أنَّهم لم يتوفَّروا على دراسة لَهجة كاملة من لَهجات القبائل التي كان يتكلّم الناس بها في حياتهم العادية، وإنّما كانت ملاحظتُهم تنصبُّ على الفروق بين اللهجات التي أُدخِلت على الفصحى، ولذا لم نَجد كتابا تراثيا يَحمل عنوانه مصطلح "اللهجات"، في حين يتداول مصطلح اللغات في كثير من المؤلّفات. »[1]

[1] ينظر: عبده الراجحي اللهجات العربية في القراءات القرآنية –دار المعارف ، د.ط- 1969م، ص51،52.

بينما نلاحظ أنّ القرآن الكريم عبّر عن اللغة بكلمةِ اللسانِ إذ قال سبحانه وتعالى : ﴿ *وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* ﴾.[1]

واللهجة هي لغة الإنسان التي تعلمّها وألِفها، فهي طريقة خاصّة في الاستعمال اللغوي لفئة خاصّة من فئات اللغة الواحدة. ويُعرّفها بعضهم « بأنّها العاداتُ الكلاميةُ لمجموعةٍ قليلةٍ من مَجموعةٍ أكبرَ.»[2]

وقد تكون هذه العادات الكلامية، غالبا، مُختلفة من الناحية الصوتية، وذلك ما نلاحظه بصفة واضحة في اللهجات العربية القديمة مثل العنعنة والكشكشة والتلتلة والطمطمانية... وغيرها.[3]

يلعب هذا الاختلاف الصوتي دورًا هامًّا في تنوّع اللهجات، وقد يكون الاختلاف من جهة المعاني أيضا، إذ تذكر كتب اللغة والمعاجم مَجموعة كبيرة

---

[1] - سورة الروم الآية (22) مصحف المدينة النبوية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف برواية حفص

[2] - عبد الغفار حامد هلال- **اللهجات العربية نشأة و تطورا**- دار الفكر العربي- القاهرة،د.ط- 1418ه/ 1998م – ص51 ، 52.

[3] - ينظر: نفسه، ص 22.

من هذه الاختلافاتِ في المعاني، مثل كلمة " الهجرس" التي تعني " القرد " عند أهل الحجاز، بينما تعني " الثعلب" عند أبناء قبيلة تَميم.[1]

إنّ هذا النمط اللغوي يَختلف من منطقة لأخرى، ومن فئة لأخرى، ومن قطر لآخر؛ وذلك فيما يَخص أصواتُه وكلماتُه وقواعدُه، التي يستخدمها الفرد في حديثه اليومي، وهو النمط الذي يُنظَّم به الشعر الغنائي، والأمثال الشعبية والتراثية والفولكلورية، وحجم هائل من الأدب الشعبي.

يُستنتج أنّ اللهجة ظاهرة اتصال كاللغة، ظهرت بظهور الإنسان على الأرض، لمّا أحس بحاجته إلى الاتصال مع الآخرين.

5- مفهوم علم اللهجات:

يُعدُّ علم اللهجات فرعا من الفروع العامّة للسانيات، نشأ في الحوض المعرفي الغربي، إذ تهيّأت له كل شروط التحقُّق ليغدو معرفة طبيعية.

---

[1]- ينظر: السابق، ص17.

عرّف جورج مونان (George Mounin) هذا العلمَ فكتب: « إنَّ علمَ اللهجات مَجال خاص باللسانيات يعتني بدراسة اللهجات، وهذا المجال يُمكن أيضا نعتُه بالجغرافية اللسانية ونتائج الباحثين يُمكن أن تودع في أطلس لغوي.»[1]

كثيرا ما يُستعمَل علم اللهجات مرادفًا لِمفهوم الجغرافية اللسانية، فهو علمٌ ذو منهج وصفي علمي دقيق يعتني بدراسة وتَحليل « الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بِحدوثِ صور من الكلام في لغة من اللغات، أو علمٌ يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأُ أو تتفرّعُ عن لغة أو لغات.»[2]

لقد أسهم هذا النوع من البحوث التقليدية في نشأة نوع جديد من العلوم، وهو السوسيولسانية (Sociolinguistique). فكان لهذا المولود الجديد أهداف

[1]- George Mounin **Dictionnaire de linguistique** sous la direction - P.U.F- Paris – 1974- P: 25.

[2] -عبد الغفار حامد هلال - ص 388.

ومناهج جديدة، ومن رواد هذا المنهج السوسيولساني لابوف (Labov)، إذ كان يَجمع المعلومات ويُفسِّرها على كونِها متغيّرات منشِّطة أو مُحفِّزة وبإمكانها أن تَختلف من مَجموعة متكلِّمة بها إلى أخرى، أو من مُحيط اجتماعي إلى آخر كون المتغيِّرات اللسانية « هي التي تتساق مع السياق غير اللساني للمتكلِّم ومنها المخاطب، والحضور والمكان.»[1]

فِعلمُ اللهجات إذن يعد حقل منهجي، له أدواتُه وإجراءاتُه، وله طرقُه ونظرياتُه. والذي نطمئن إليه فعلا، هو أنّ مفهوم اللسانيات الجغرافية مستوحًى من علم اللهجات، وعائد إليها، ولا يرجع علم اللّهجات إلى اللّسانيات الجغرافية فحسب، بل يبقى علم اللهجات موصولاً بصفة عامّة مع اللسانيات.

---

[1] ينظر:

Labov William , « The study of language en its social- context, (1970), p66

نقلا عن :" الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية" – للطالب فريد داودي – مخطوط مذكرة ماجيستير في علم اللهجات جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان -2000-2001 ص20 .

6-عوامل نشـــــأة اللهجـــــات:

يكتنف نشأة اللهجة غموض شديد، يُماثل الغموض الذي يكتنف نشأة اللغة، إلاّ أنّ ما يُمكن ترجيحُه من عواملَ تلك النشأة عاملُ البحث عن أيسر السبل في استخدام اللغة أو اختزالِها، نتيجةَ اللحن اللغوي الذي تعجز القواعد المعيارية على فرض الوجه الصحيح والتصويب المطلوب له، حتى أصبح اللحن واقعًا لغويًا أو أمرًا قارًّا تفرضه إرادة الجماعة اللهجية (اللغوية) في البيئة المعيَّنة. ولعلَّ من عوامل ظهور اللهجات وشيوعِها أنّ المتكلِّمين باللغة الأصلية (المعيارية) يضيقون ذرعا بصرامتها وحدّتِها، فيبحثون عن طرائق أخرى في الكلام والتعبير بأنقص كلفة وأشدّ اختصارًا وأقلّ تعقيدًا وأكثر حريةً واقتصادًا في الجهد المطلوب لإنتاج الكلام[1].

تنشأ اللهجات وفق تعاقد ضمني، وإجماع بين أهالي بيئة مُحدّدة على إمكان سماح اللجوء إلى مستجدّات قد تطرأ على القواعد المختزَنة في أذهانِهم. وهذه المستجدّات هي النافذة التي تتطوّر من خلالها اللهجات، ولعلّ البيئات

---

[1]-ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص 109.

المختلفة هي التي تؤدّي إلى تصنيف اللهجات إلى لَهجات جغرافية، ولَهجات اجتماعية. فاللهجات ثَمرة طبيعية لتوزّع لغة ما على مِحورَيْن: مِحور عمودي ويُمثّله المكان، ومِحور أفقي ويُمثّله الزمان، والمحوران الاثنان يؤثران في بناء اللغة كما يؤثر أحدهما في الآخر أيضا.[1]

ومن العوامل التي تؤدي إلى تكوُّن اللهجات ما يلي:

أ- العامل الجغرافي:

شهد التاريخ نشوء لغات متباينة وذلك حسب الأجيال والمناطق التي استقرّ فيها بنو الإنسان، وقد تنتشر لغة من اللغات وتتّسع رقعتها، إلى أنّ تتشعب إلى لَهجات «فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك من التضاريس الطبيعية بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتّب على هذا الانفصال قلّة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزالُهم بعضهم عن بعض.[2]»

---

[1] – ينظر: مروان عطية، *مناهج الدرس اللغوي وجهود علماء الأصوات العرب:*

http://www.Hajah-nama.xalidmihemedziman.htm

[2] - ناصر الدين سعدون، **أثر العامل الجغرافي في نشأة اللهجات**، – مجلة "شمعه العربي الموحد، جدة، نوفمبر 2005 ، ص15

فمتى اختلفت البيئة الجغرافية أدّى ذلك إلى اختلاف اللهجة، وإذا كانت البيئة تؤثر في سكّانِها ماديًّا وخَلقيا ونفسيا، فإنَّها كذلك تؤثر في أعضاء النطق وطريقة الكلام.[1] ولقد بيَّنَ ابن خلدون أنّ صفاءَ لَهجة قريش عائد إلى موقعها الجغرافي المتميِّز الذي جعلها تُحافظ على فصاحة لسانِها العربي، فيقول: « كانت لغة قريش أفصحَ اللغات العربية وأصرحَها لبعدهم عن بلاد العجم من جَميع جهاتِهم، ثمّ من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تَميم، وأمّا مَنْ بَعُدَ عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم (البيزنطيين) والحبشة، فلم تكن لغتُهم تامّة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بُعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عن أهل الصناعة العربية.»[2]

---

[1]- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص 33.

[2]- ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، الطبعة الأولى، لمالكها عمر حسين الخشاب،د.ت، ص 318.

كان بُعد القبائل وانتشار ديارها هنا وهناك، أو قرب تلك المنازل وانخراطهم في وحدة جغرافية، يترك آثاره العميقة في لغات تلك القبائل عن طريق تهذيب لغاتها حينا وتشذيبها أحيانا.[1]

يرى بعض علماء الفزيولوجيا أن الموقع الجغرافي له أثر كبير في الجهاز النطقي للفرد، واعتمدوا في ذلك على ما سجّلوه من فروق بين الأشخاص القاطنين في الصحراء والأشخاص المستقرّين على السواحل، أمّا الفئة الأولى فالأصوات عندهم تُنطَق بشدّة وحدّة، وهذا راجع إلى المناخ الجاف، وأمّا الفئة الثانية فالأصوات عندهم تنطق بها بنوع من اللين، وهذا حسبهم يعود إلى المناخ الرطب المعتدل الذي يسهّل عملية النطق.[2]

كما يرى علي عبد الواحد وافي أنّ كل تطوّر يحدث في أعضاء النطق، مهما كان مبلغه، يتبعه تطوّرٌ في أصوات الكلمات، فتنحرف الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملائمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق، كما يرى أنه ليس من الميسور وضع قواعد عامة

---

[1]- ينظر: أحمد علم الدين الجندي – **اللهجات العربية في التراث**– القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس 1398هـ-1978م.ص 20.

[2]-ينظر عبد الغفار هلال، ص33.

مضبوطة لاتّجاهات هذا التطوّر لأنّ الأمر يَختلف اختلافا كبيرا باختلاف اللغات والبيئات والشعوب.[1]

ومن الأمور المتأكّد منها أنّ وضعية التضاريس تؤدّي إلى نشأة اللهجات وتعدّدها، فهناك توافق وانسجام يحدث بين اللغة ومظاهر بيئتها الجغرافية.

إنّ مُميزات الإقليم الطبيعية تؤثر في لغة سكّانِها وتقودها نحو التطوّر، وبالتالي تنشأ فروق كبيرة في مُختلف مستويات مظاهر اللغة بين سكّان المناطق الحارة والباردة والمعتدلة، وبين سكّان الصحراء، وسكّان المناطق الجبلية، وسكّان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية.

وقد تنشأ فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة وحتى بين لَهجات اللغة الواحدة، فكل بيئة جغرافية إلا ولها بيئة لغوية خاصّة بِها. فاللغة كما أنّها لصيقة بالدين والأدب والتاريخ والقومية نراها كذلك لصيقة بالجغرافية والأرض.[2]

---

[1] ينظر: علي عبد الواحد وافي ـ اللغة والمجتمع ـ دار النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، ط د ت ـ ص 55- 56.
[2] ينظر: عبد الغفار حامد - هلال، ص23.

ب-العامل الاجتماعي:

لا ريب أنّ كل قوم لَهم قوانينهم وطرقهم الخاصة في معيشتهم وتفكيرهم، وهذا صحيح بالنسبة لشعوب مختلفة، أو لطبقات الشعب الواحد، فكلُّ شعب له ملامحه الثقافية وعاداته وتقاليده الخاصّة، فالمجتمع الإنجليزي غير المجتمع الفرنسي أو الأمريكي أو الروسي أو العربي في طريقة معيشته، وقوانينه العامّة والخاصّة. قد يوجد في المجتمع الواحد الطبقات الأرستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية أو الزراعية أو التجارية وغيرها من أرباب المهن المختلفة، وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر بقدر ما تتفرّع لغات المجتمعات إلى لهجات.[1]

وتوجد من اللهجات الخاصة بقدر ما توجد من جَماعات متخصصة، وتتميّز كل لهجة بتنوُّعها الذي لا يُحد، وهي في تغيير دائم تبعا لأحوال الجماعات التي تمارسها، والأمكنة التي تعيش فيها، فكل جَماعة خاصّة وكلِّ

[1] ينظر:عبد الغفار حامد هلال، ص33.

هيئة من أرباب العمل لها لهجتها الخاصّة[1]. فبتغير العادات والتقاليد واختلافها بين المجتمعات تتمخض لَهجات وتنعكس آثارها على اللغة.

وليس العامل الاجتماعي هو الوحيد الذي يؤثر فحسب، بل حتى العاملان الثقافي والنفسي يشاركان في ذلك التأثير، فقد تبدو لنا اللهجات أنها في حالة تَكَوُّن من خلال استعمال الكلمات والألفاظ داخل المجتمعات، ولكن في الحقيقة هي محاولة تجديدية بلا ريب في مزج الأزمنة. فامتزاج الماضي بالحاضر والمستقبل في عجينة واحدة اتخذ من اللهجة وسيلة أساسية للحوار والتقارب.

ج – الاتصال البشري:

يقول الله تعالى :﴿ ***يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ***﴾.[2]

[1] ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص 33.
[2] ـ سورة الحجرات الآية 13 برواية حفص.

ويقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية الكريمة، أنها تكاد تستقلّ بوضع معالم كاملة، لعالَمٍ رفيع كريم نظيف سليم، متضمنةً القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالَم.[1]

فالإنسان بطبعه مدني، كما يقول علماء الاجتماع، فهو في حاجة إلى الآخرين والله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة يدعونا ويحثنا على الاتصال بغيرنا من البشر من أجل التعارف، ومن أجل التعاون للنهوض بجميع تكاليف الحياة والوفاء بجميع الحاجات، فقد يتصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أنّ الإنسان يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر، سعيا وراء الرزق أو لظروف قاهرة أو لأسباب أخرى.

ومن البديهي أن نقول إنّ تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة كلّ طرف بلغة الطرف الآخر حتّى يمكنَهم التفاهم بينهم وتوثيق الصلات بهم أو إخضاع جماعة لسيطرة غيرهم، وهذا يؤدّي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض وإلى

[1] ينظر: سيد قطب ـ في ضلال القرآن، المجلد 6، دار الشروق بيروت ـط.1996، 5، ص3335.

نشوب صراع بينها. فالتوسُّع وضرورة الاتصال يقتضيان معرفة لغات عدّة، معرفة جيدة.[1]

ويقول فندريس: « إن تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يُعدُّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أي لغة، بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرا ما يلعب دورا هامّا في التطور اللغوي.[2]» وهذا ما حدث للانتشار السريع للغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية في الأقطار التي اعتنق أبناؤها الإسلام، وتنوُّع لهجات سكّان تلك البلدان في وقتنا الحاضر يمثِّل خير دليل على هذه المعلومة التاريخية.

كثيرا ما لوحظ أن تطوّر اللغات يزداد بالتوازي مع سرعة انتشارها في الخارج وارتفاع عدد الناس الذين يتكلمون بها، إذ أنّ انتشارها في أقاليم تحتكّ فيها بلغات أخرى يعرضها لفقدان خصائصها الموغلة في الذاتية، والتأثير الذي يقع عليها في الخارج يؤدّي إلى التغير السريع[3]، وقد تتغلّب إحدى هذه اللغات

---

[1] ـ ينظر: عبد الغفار هلال ص33

[2] ينظر: ج فندريس ـ **اللغة**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المكتبة الأنجلو المصرية، د.ت ص 33 نقلا عن: صديقي ليلى " **المعرب اللفظي وطرق تحقيقه في اللهجات القديمة والحديثة**" مخطوط مذكرة ماجيستير في علم اللهجات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2000-2001 ،ص 34.

[3] ينظر: عبد الغفار هلال ـ ص 34

على الأخرى، وقد تنشأ اللغة بتبادل المعرفة أو باستعمال كلمات دخيلة من لغة مّا، فتختلف اللغة عن أصلها وتتفرّق إلى لهجات.

لقد دعت الحاجة الاجتماعية للعرب إلى التلاقي والعمل الاجتماعي، فالعرب « بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة في دار واحدة، وهذا الاتصال الوثيق يؤدّي إلى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض، فبضعهم يلاحظ صاحبه ويراعي لغته كما يراعي ذلك من مهمّ أمره. »[1]

يؤدي الاتصال البشري والاختلاط والمشاركة في أمور الحياة إلى استخلاص لهجة موحّدة بعد أن تتخلّص كلّ لهجة من سماتها الخالصة بها ومن الألفاظ الغريبة.

ومن بين عوامل هذا الاتّصال، ظهور المدن الكبرى وهو عامل مهمّ، إذ يلجأ السكّان ويقصدون كبريات المدن من مختلف الأقاليم وتصبح لديهم لهجة موحّدة.

[1]- السابق، ص 35.

7- أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين العرب والأوربيين:

تُعدُّ دراسة اللهجات من أهم الأبحاث التي تُسهّل دراسة اللغة الأم، إذ أن عناصر الاختلاف لا تكون في اللغة الواحدة فقط، بل تكون في أي لَهجة من لَهجاتِها، وفي فروع كل من تلك اللهجات أيضا.

ولعلَّ أقرب الطرق إلى توحيد اللغة، هو التقريب بين تلك اللهجات، وهذا ما انتبه له اللغويون العرب إذ قال مُحمّد عبيد : « اللسان العربي عندهم صحيح مَحروس، لا يتداخله الخلل ولا يتطرّق إليه الزلل إلى وقت أن فُتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسِهم ، فاختلط الفرق وامتزجت الألسن.»[1]

لقد كان العرب – في حِمايتهم للغة القرآن – يهتمّون بدراسة اللهجات، وهذا ما بيّنه كذلك مُحمّد عبيد حين قال: « الفصحى هي لَهجات القبائل على تعدُّدها وطول الزمن بِها، وهذا الاعتبار هو الذي دفعهم لاختيار نوع معيَّن من اللغة

[1] - مُحمّد عبيد-«المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات في النثر والشعر»- دار الثقافة العربية للطباعة ، د ت – ص 61

المروية عن القبائل لدراستها واستنباط القواعد منها، وقد تَجيء القاعدة على أساس استعمال اللهجة.»[1]

اهتمّ اللغويّين العرب القدامى بدراسة اللهجات العربية القديمة، غير أنّهم لم يستقرّوا ولَم يتّفقوا على مصطلح يُحدِّد طبيعة هذه الدراسة على نَحو ما نعرفه الآن في الدرس اللغوي الحديث، ولقد ألّفوا الكثيرَ من الكتب اهتمّت بدراسة اللغة الموحّدة والتي اعتمدت واعتنت على دراسة بعض الخصائص الموجودة في لَهجات القبائل التي عاشت في تلك الحقبة الزمنية.

انكبّ بعض الدارسين المعاصرين على دراسة اللهجات دراسة علمية دقيقة، فاتّضح لَهم أن الظواهر اللغوية لا يُمكن ضبطُها وفهمُها إلاّ بالاستعانة بعلوم أخرى كعلم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا ...وغيرها.

فدارسو اللهجات يبحثون في الفروق اللغوية، الصوتية والدلالية بين اللهجات، وهذا ما يَحصرها في فضاءٍ لغويٍّ معيَّن، ولكنّ الدراسة تكون خالية من الافتراضات ومبنية على الموضوعية.[2]

---

[1]– السابق، ص 62.

[2]–ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص449.

اهتمّ اللغويون العرب في بداية الأربعينيات بِهذا النوع من الدراسات، أي الدراسات اللهجية، وذلك على يد اللسانيين الوصفيين وخاصّة أولئك الذين درسوا في الجامعات الغربية نذكر منهم على سبيل المثال وليس سبيل الحصر، إبراهيم أنيس الذي درس" لَهجة القاهرة "، وكان بذلك قد فتح باب هذا العلم على مصراعيه، وقدّم خدمات معتبرة للباحثين في هذا المجال بتأليفه كتابًا كان بِمثابة مرجع أساسي لهذا النوع من الدراسة، أي الدراسة اللهجية العربية، والذي عنونَهُ ب:" في اللهجات العربية". وتَمّام حسان الذي قدّم بَحثًا عن لَهجة " الكرنك" وأخرى عن لَهجة "عدن".[2]

إنّ الجامعات العربية في مشرق العالَم العربي وفي مغربِه أنْجبت الكثيرَ من الباحثين في هذا الميدان ومن بينهم *عبد الحميد سيد* صاحب كتاب

---

[1]-ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص449.

[2] ينظر: عبد الرحمن الفريج ، شعر العامية بين الموهبة والدلالة العلمية:-www.open-university.edu/programs

"من لَهجات الجزيرة العربية وآدابها في السودان"[1]، وكذلك عبد العزيز سيد رشوان مطر وبَحثه تَحت عنوان " دراسة لغوية في لَهجات البدو في مصر".[2]

لم يقتصر الدرس اللغويّ العربي على دراسة بعض اللهجات الخاصة، بل زاد اتساعًا وتعمقًا، إذ اهتمّ بدراسة لَهجات القبائل في التراث العربي لإدراك الخواصّ اللهجية لكلّ قبيلة، ومن ثَمّ تبيان مدى إسهاماتِها في تكوين اللغة العربية الموحَّدة. ويُعتبَر بَحث عبد *الفتاح إسماعيل شلبي* من أنصعِ الدراسات اللهجية التي ظهرت باتِّجاهاتِها الحديثة، وكان ذلك جليا في بَحثه الذي كان عنوانه " الإمالة في القراءات واللهجات العربية."

كما كان لعبده الراجحي الفضل الكبير في هذا الحقل الذي لا يزال خصبا، إذ قدّم الكثير من الأبحاث في هذا المجال، ومن أشهر كتبه " اللهجات العربية في القراءات القرآنية".[3]

---

[1] ينظر: مروان العطية ، مناهج الدرس اللغوي وجهود علماء الأصوات العرب، www.al-sharg.com

[2] ينظر: نفسه.

[3] ينظر: عبد الرحمن الفريج ، شعر العامية بين الموهبة والدلالة العلمية:www.open-university.edu/programs

أمّا في أوروبا فتعُود بداية البحث في اللهجات إلى القرن التاسع عشر ميلادي، على يد فرانز بوب(Franz Bopp). فقد نشر هذا اللغوي، سنة 1816م، كتابَه عن التعريف باللغة السنسكريتية؛ فقارن بين هذه اللغة وبين اللغات الألمانية واليونانية واللاتينية.[1]

ويُعدّ المستشرق " فالين " (Valen) من اللغويّين الأوائل الذين اهتمّوا بدراسة اللهجات العربية القديمة، المستعملة في الجزيرة العربية وذلك عام 1848[2]، ثم جاء من بعده المستشرق كارلو لنغنبرغ Karlo Langenberg الذي ألّف كتابا ضخما عن لَهجتي حضرموت ودُثَيْنَة[3] وذلك بين سنوات 1901- 1913.[4]

[1] Emile Brunet- ,**Continuité ou discontinuité en histoire des sciences du langage, La place du sujet depuis Saussure**, - Imprimerie impériale –Paris. , p 25.

[2]- ينظر:عبد الرحمن الفريج **ماذا قالوا عند حائل**، www.altanya.net .

[3]) بلاد واقعة جنوبي جزيرة العرب في جبل كور عاشت مع سكانها الأصليين العرب طائفة من اليهود.

[4] **-Les dialectes arabes des régions Sud, Centre et Est du Yémen**. Http://cy/revue.org

كما عمل المستشرقون على إثبات وتحديد عوامل الخلاف التي تحدث في صراع اللغات واللهجات وما يعتريها من تشعُّب، فدرسوا اللهجات من عدة نواحي: من الناحية الصوتية، والناحية الدلالية، والناحية التاريخية وغيرها[1].

فانتبهوا أن دراسة اللهجات علم لا يقوم بنفسه، وهو غير مستقل إذ يعتمد على علوم أخرى مثل علم التاريخ وعلم النفس الاجتماعي وعلم الفنون المعمارية وغيرها، وذلك ليؤكّد صحّة فرضياته.وإلى جانب ذلك كانت دراستُهم للهجات العربية عامّة والمغربية خاصة تهدف إلى أغراض استعمارية فبرز الكثير من المتخصصين الذين درسوا اللهجات العربية المغربية من أجل هذا الغرض، ولنذكُر منهم على سبيل المثال، لاعلى سبيل الحصر "وليام مارسي" الذي عدّه البعض أبا لعلم اللهجات المغربية، فألّف الكثير من الكتيبات وشرح فيها الظواهر اللهجية المختلفة، ورغم أن أهدافه كانت إيديولوجية أكثر منها علمية، إلاّ أننا لا يمكن أن ننكر فضل أبحاثه التي ساعدت الكثير من

[1] ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص459.

الباحثين العرب في دراسة اللهجات المغربية، وخاصة دارسي اللهجات الجزائرية.

ومن خلال هذه النظرة الشاملة للدراسة اللهجية عند اللغويين العرب والأوروبيين تبيَّن لنا أهمية هذا النوعِ الجديد من الدراسات فهو جزء لا يتجزأ من العلوم الإنسانية الأخرى.

الفصل الأول

اتصال الجزائر بمختلف الشعوب وأثره

في نشوء وضعية لغوية مميزة

1-أصل سكّان شمال إفريقيا (الجزائر)

1.1 تمهيد:

اتّفق جلُّ المؤرخين بأنّ السكان الأصليين للمغرب بصفة عامة وللجزائر بصفة خاصة هم الأمازيغ أو البربر[1]، الإسم الذي أطلقه اليونان ومن بعدهم الرومان على الشعوب التي تقلهم حضارة [2]، وأصبحت هذه التسمية متداولة بين أغلب المؤرخين في حين الأمازيغ متعارفون فيما بينهم بأسماء قبائلهم مثل الشاوية والطوارق والميزابية والقبايل والروايف ...الخ[3].

وممّا يؤكد هذا الأمر تصريح ألفرد بل إذ قال: «أطلق الرومان اسم "بربروس"على السكان القاطنين في شمال إفريقيا في عصرهم. فالساكن الأصيل كان في نظرهم "بربروس" أي متأبيا على حضارة روما. و الاسم والمعنى اتخذه العرب (ابن خلدون) فأطلقوا اسم "البربر" على هؤلاء السكان.

---

[1]-ينظر: عثمان الكعاك، **موجزالتاريخ العام للجزائر** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 2003، ص22

[2]-ينظر: عثمان سعدي، **الأمازيغ "البربر"عرب عاربة**، د.ط، 1996،ص73

[3]-ينظر: نفسه،ص73.

أمّا البربر أنفسهم، فقد كانوا يتسمون بأسماء قبائلهم (كتامة، مغراوة، ...الخ) أو اتحادات قبائلهم (مصمودة، زناتة،...الخ).»[1]

إذن فهذه التسمية –أي البربر– من استحداث الأجانب ثمّ انتشر استعمالها بين الباحثين والمؤرخين الغربيين، وكان الهدف منها التقليل من شأن الأمازيغ، و نكران وجود حضارة لهم.

ويبدو أن هذه التسمية ليست أصلية فلو كانت كذلك «لاحتفظ بها البربر حتى بعد استقرار الإسلام بالمغرب، مثلما بقيت كلمة "الفرس" و"الأفغان" و"الترك" و"الهنود" وغيرهم من الأجناس الإسلامية التي لازالت مسلمة، لكنها احتفظت بمميزاتها العرقية واللغوية حتى الآن.»[2]

وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر والمراجع تستعمل مصطلح "بربر" بكثرة، غير أننا في هذا البحث سنوظف مصطلح "أمازيغ".

---

[1]–ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص48.

[2]–عثمان سعدي، ص72

2.1 أصل الأمازيغ:

لم يتّفق العلماء بصفة عامّة، والمختصّون منهم في فترة ما قبل التاريخ والباحثون في الأجناس البشرية بصفة خاصّة، على أصل البربر الذين نسمّيهم الأمازيغ. فمن شبه المؤكّد أنّ الإنسان عمّر شمال إفريقيا خلال أواخر العصر الجيولوجي الثالث أو أثناء أوائل العصر الجيولوجي الرابع[1]؛ وقد برهنت على هذه الحقائق بقايا الأدوات الحجرية التي صنعتها يد بني آدم والتي اكتشفها علماء الآثار، وسنكتفي بذكر ما عُثِر عليه في غرب البلاد. ففي ولاية تلمسان في ناحية أوزيدان، وفي بحيرة القرارة في ضواحي مدينة الرمشي وجد المنقّبون أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى[2]. كما وُجد هيكل عظمي كامل لرجل تيغنيف في ولاية معسكر الذي اكتشفه الفرنسي شارل أرامبورغ (Ch Arambourg) عام 1954، وقد عاش صاحب هذا الهيكل منذ حوالي 500.000 سنةً –حسب ما أسفرت عنه نتائج التحاليل بالكربون 14 التي أجريت عليه – وكان هذا الرجل ينتسب

[1]Jean Modet, **Guide bleu : Algérie** sous la direction de - Hachette 1977- page 285.

[2]- ibid.

إلى صنف الأَطْلَنْطروبوس موريطانكوس (Altlanthropus Mauritanicus)[1]. وبعد انقراض هذا النوع البشري الأوّل، عاش فوق تراب المنطقة رجل الإيبرومورزيان (Ibéromaurusien) الذي لاحظ فيه العلماء تشابُهًا بيِّنًا مع رجل كرومانيون (Cro-Magnon) الذي عاش في منطقة نهر الدردون بفرنسا[2].

انقسمت آراء العلماء في أصل الأمازيغيين؛ فمنهم من يرى أنّ الأمازيغ انحدروا من الإيبرومورزيان، ومن هذا الفريق شارل روبار أجيرون وزوجته سوزان (Charles Robert et Suzanne Ageron). بينما تعتقد جماعة أخرى من رجال العلم أنّ أصلهم لم يكن من شمال إفريقيا ولكنّهم استوطنوا هذه المنطقة، وهذا هو الأرجح عند الأغلبية منهم، وبناء على هذا فقد اقترحوا عدّة نظريات وفرضيات حول الموطن الأوّل للأمازيغ. فحسبهم أن الأمازيغ لم ينزحوا من الشمال أي من أوربا لأنّ البحر المتوسّط كان يمنعهم من ذلك، ولم يصعد الأمازيغ من جنوب القارّة لأنّ الصحراء كانت تحول بينهم وبين ذلك. وقد انتبه غوسطاف لوبون

[1]- Jean Modet, page 285.

[2] Ibid.

(Gustave Lebon) إلى هذه الظاهرة فكتب « ويمكن القول بأنّ من لم يكن زنجيًّا في شمال إفريقيا كان بربريًّا وذلك قبل العرب.[1]»، فالأمازيغي في نظر البعض هجر من اليمن، وحسب البعض الآخر من العراق، وسواءً كانت الهجرة من هذا البلد أو ذاك فإنّ هذه المعلومة لا تكتسي أيّ أهمية فقد سجّل نفس المؤرّخ الفرنسي المذكور آنفًا :«ولا يقلّ جهلنا للأصل البربري عن جهلنا لأصول أكثر الشعوب.»[2]

كان الأمازيغ العنصر البشري السائد في شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ، ولذا سمّى المؤرّخون الأوربيون هذا البلد بلد البرابرة وأطلق عليهم إيميل فيليكس غوتيي (E.F.Gautier) في كتابه *"ماضي شمال إفريقيا: العصور المظلمة"* اسمَ [الوحوش البيض]، كما أعلن أنّ بلدهم لا يكسب اسمًا يعرفه كافّة الناس، ولذا اضطُرّ العلماء على إعطائهم تسمية لهم، ثمّ استنتج أنّ هؤلاء القوم ليس لهم تاريخ مثل الألمان أو الكنديين أو الفليبينيين، ولا

---

[1]) غسطاف لوبون : حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه – الطبعة الرابعة 1384هـ=1964م – ص 244.

[2]) نفسه.

يستحقّ لهذا الماضي أن يُكتَب، لأنّه لا يوجد من يبحث عنه أو يبحث فيه لعدم الفائدة والأهمية فيه.[1]

اشتهر الأمازيغ بالجِدّ في العمل وحبّ الحريّة والديمقراطية والتعاون بين أعضاء مجتمعهم، والتضحيات الجسام في مقاومته للعدوّ، وكُرهه للأجنبي. وهذا العقيد الفرنسي روبان (Robin) يسجّل سنة 1901م: «... وهكذا فقد تحطّم في بضع سنين البناء الذي شيّده الأمازيغ خلال عدّة قرون والمتعلّق بمجموع الحريّات العادية، هذا البناء الذي وقف صامدًا طيلة آلاف الأعوام في وجه جيوش الغزاة »[2] وكان يعني بقوله هذا، الانتصارَ المؤقّت الفرنسي على مجاهدي منطقة القبائل بالتراب الجزائري، وفي نفس الوقت يعترف المسئول العسكري أنّ موقف الأمازيغ في الماضي الطويل موقفًا بطوليًّا تجاه من يريد له الشرّ.

[1]- E.F.Gautier: **Passé de l'Afrique du Nord : Les siècles obscurs** : - Edition Payot, Paris - 1952 -P7.

[2] - Robin: **L'insurrection de la grande Kabylie** : edition henri charles-lavauzelle Paris 1901, p19

للأمازيغ عادات وتقاليد ومعتقدات وفن وأدب ولغة، فهذه الأخيرة اشتقّت من لغة أقدم منها تكلّمها أبناء المنطقة في الأزمنة الغابرة أي قبل قدوم الفينيقيين ألا وهي اللغة اللوبية التي يوجد منها 1200 نصًّا تقريبًا يعود أحدها إلى سنة 138 ق م. وهذه النصوص مزدوجة اللغة، فهي إمّا لوبية – بونيقية وإمّا لوبية– لاتينية، وقد عُلّق عدد منها على الجدران الخارجية للمتحف الوطني لآثار العصور القديمة، وكان هذا المتحف في العهد الاستعماري يحمل اسمَ اسطيفان غزال[1].

كان الأمازيغ غيورين على المحافظة على لغتهم، ومع هذا فقد سمحوا لها بالتفتّح على اللغات الأخرى التي جاورتها، فاستعارت مفردات وتراكب من البونيقية ثمّ فيما بعد من اللاتينية والعربية والفرنسية.

وللغة الأمازيغية عدة لهجات تختلف الواحدة عن الأخرى بنسب متفاوتة ومثال ذلك الاختلاف البيّن بين لهجة تيزي وزّو في وسط البلاد

[1]- Jean Modet :P: 171.

ولهجة بني سنوس بالشمال الغربي الجزائري، ثمّ بينهما وبين لهجتي ميلة وباتنة[1].

إن نوعية تضاريس البلاد تشرح نسبيًّا هذا الاختلاف، فالمجموعات التي تستعمل الأمازيغية للحديث والتفاهم عاشت في مناطق بعيدة عن بعضها البعض فرّقت بينهم حواجز طبيعية كالجبال والأودية والصحاري ... ويقول أندري باسي (André Basset) إنّه عدّ ما بين أربعة إلى خمسة آلاف لهجة انبثقت من الأمازيغية[2]. أما ليونل غالان (Lionel Galand) فيعترف بتفرّع الأمازيغية إلى بضعة أصناف، ويُرجِع سبب ذلك إلى انكماش اللغة على نفسها، الأمر الذي أجبر كل مجموعة على اختراع بعض الألفاظ وبعض التراكيب الخاصّة بها.[3]

---

[1] ينظر: السابق، ص171.

[2] - Bovins, **Atlas linguistique des parlers berbères en Algérie territoire du nord** equidés, Alger 1936 -1939 pris de l'encyclopedia universalis tome 3 edition Paris 1985, p 487.

[3] - L.Galand: **Langue et littérature berbères : vingt-cinq ans d'études** édition C.N.R.S. Paris 1979 ,p34.

أمّا فنُّ الأمازيغ، فهو فنٌّ بسيطٌ يتجلّى في صناعة الزرابي والحلي والنقش على الخشب، وأدبُهم غير مدوّن، وهو يتمثّل في القصص والأغاني وميزتُه أنّه قيل في لغة موحّدة يفهمها جميع الأمازيغ من ليبيا إلى المغرب الأقصى. واللغة الأدبية هذه إذن تختلف عن اللغة اليومية. وتجدر الإشارة إلى أن عددَ القصص الأمازيغية هائلٌ لا يُحصى.[1] فابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي تحيّر أمام غزارة القصص التي كانت الجدّات يحكينها لأحفادهن، وبعد ما ترجم واحدة منها إلى اللغة العربية، كتب قائلا: « إنّ عدد مثل هذه القصص لا يحصى ولا يعدّ، فلو حاولنا جمعَها لَملأنا بها عدّة مجلّدات.»[2]

2- اتصال الجزائر بمختلف الشعوب

لقد كان للموقع الجغرافي للجزائر دورٌ مهمٌّ في استقطاب مختلف الشعوب إذ يقول عبد الرحمان الجيلالي: « تعاقب على هذا الوطن الجزائري بعد العصر الحجري وقبل الفتح الإسلامي، خمس أمم عظيمة : البربر وهم

---

1. – *Encyclopedia universalis tome10 p761*

2- ابن خلدون، **المقدمة**، الطبعة الأولى لمالكها عمر حسين الخشاب، د ت ص340.

السكّان القدماء الأصليون والفينيقيون ثمّ الرومان فالوندال فالروم-البيزنطنيون – وهذا ما نسمّيه بالجزائر العتيقة، وتاريخ هذا العصر يشمل تاريخ الشمال الإفريقي كلّه، وما الجزائر إلاّ جزءٌ من الجزيرة المغربية، وهي كلّها متشابهة جغرافيًّا وتاريخيًّا. فهي وحدة لا تتجزّأ رغم جميع الاعتبارات السياسية. فإنّ تاريخ هذا الشمال الإفريقي متماسك الحلقات لم ينفصل عن بعضه إلاّ في ظروف استثنائية وملابسات خاصّة.»[1]

كما تمتاز الجزائر بموقعها الاستراتيجي من الناحية الاقتصادية، فهي بوّابة إفريقيا نحو أوربا، ومن الناحية الطبيعية فهي تمتاز بمناظرها الخلاّبة التي أثّرت تأثيرًا عميقًا ساعد على نموّ الذكاء والنبوغ واللين والشدّة والاندفاع في شخصية المواطنين. وهذه شهادة أندري برتيي (André Berthier) تؤكّد هذه الحقيقة :«إنّ الجزائر هي أرض مُشرقة مضيئة، وهي أرض غنية بإنسانيتها لأنّها تبيّن ذلك التقارب والتجاور لعدّة ذهنيات قديمة جدًّا وحديثة إذ تعطيها منظرًا شاملاً للماضي والحاضر بحيث يتبيّن ويظهر

[1]-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج2، مطبعة دار الثقافة ، بيروت،د.ط، 1982، ص34.

لنا من خلالها الثقافات المختلفة التي مرّت على هذه البلاد من ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.»[1]

1.2 اتصال الأمازيغ بالفينيقيين

كان قدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا يتّسم في بداية أمره بالطابع التجاري المحض، إذ لم يكن أبناء هذا الشعب يهدفون إلى احتلال المنطقة واستغلال خيراتها الطبيعية، وقهر أهاليها والسيطرة عليهم. فقد غادروا موطنهم الأصلي لغرض البحث عن المعادن والبضائع المختلفة. فاستقبلهم الأمازيغ أحسن استقبال، وبما أنّ الملاحة كانت في أطوارها الأولى البسيطة وكانت السفن لا تغامر بالسير ليلا، فهذان السببان– الاستقبال الجيّد والتنقّل البطيء – فرضا عليهم السير في شواطئ اليابسة، وأرشدهم إلى إنشاء محطّات تجارية سرعان ما تحوّلت إلى مدن ذات أهمية اقتصادية كبرى، وخاصة بعد تشييد مدينة قرطاجة فوق التراب التونسي .[2] كما قال مبارك الميلي: «

---

[1]) *Terre d'Afrique–Article : Eloges de l'Algérie- N°26- P:119 – Edition : Ciel bleu, Casablanca- 02/1946*

[2]. ينظر: محمّد الصغير غانم، **التوسّع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسّط**ـ دار الهدى : عين مليلة،د.ط، 2003،ص49.

وللإتّجار مع الليبيين أسّس الفينيقيون بسواحل إفريقيا مراكزَ يستريحون بها من عناء السفر ويتزوّدون منها ويُصلحون سفنهم»[1].

فمن جملة ما أقامه الفينيقيون في الجزائر، موانئ تنس و شرشال ووهران وبجاية وعنّابة وعاصمة القطر الحالية التي أصبحت تتمتّع بقيمة إستراتيجية رفيعة لموقعها الجغرافي الممتاز.

إنّ تنوّع الطبيعة الجغرافية للجزائر وما تحتويه من تهائم ونجود وبواد وصحارى ومرتفعات وقفت كحاجز منيع أمام توغّل الفينيقيين إلى داخل الأراضي. ولقد انتبه إلى هذه الحقيقة الدكتور محمّد الصغير غانم فقال موضّحًا : «إنّ وجود سلسلة جبال الأطلس الصعبة المسالك والتي تسير شبه متوازية للساحل كانت تمنعهم من النفوذ إلى الداخل فيما عدا بعض الممرّات الضيّقة التي كانت تتّبع مسالك الوديان المتّجهة نحو الداخل»[2]. ولهذا لم يستطيعوا أن ينشروا لغتهم في المناطق البعيدة عن السواحل.

---

[1]) مبارك الميلي **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** :ـج 1 مكتبة النهضة الجزائرية،مطابع أيدران وشركاه، بيروت،د.ط،1963،ص93.

[2]) محمّد الصغير غانم، **التوسّع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسّط**ـــ ص، 100.

أكّدت المخلّفات الأثرية على تمازج السكّان الأصليين بالفينيقيين الذين جاوروهم في السكن وتعايشوا معهم في سلم ووئام كاملين؛ ومثال ذلك وجود بقايا لأواني فخارية عثر عليها في منشأة فينيقية تدعى جواريا (Oumugu) الواقع غرب مدينة شرشال، والتي يستنتج منها أنّ الفينيقيين اختلطوا عن طريق الزواج بالسكّان الأصليين، وأنّ عادات دفن جثث الموتى في جواريا كانت تتمّ وفق الطريقة الشرقية التي كان يتّبعها الفينيقيون في القرن الرابع قبل الميلاد وما يليه.[1]

فلمّا خالط الأمازيغ الفينيقيين تأثّروا بلغتهم واقتبسوا منها كلمات وتراكب وأصبغوا عليها طابعًا يناسبهم ويتلاءم مع القالب اللغوي المحلّي، فنتج عن هذه العملية ميلاد لهجة أصبحت تُعرف بالبونيقية وصارت الوسيلة الرئيسية للتفاهم بين كلا الجنسين. فانتشرت اللغة الجديدة – البونيقية – في أوساط الفئات الاجتماعية التي عاشت في شمال إفريقيا في تلك الفترة، وذلك حسب ما تشهد عليه أمّهات المصادر التاريخية، فأصبحت بناءً على مدى

[1]) ينظر: محمّد الصغير غانم، ص، 93.

انتشارها، اللغة الرسمية[1] ابتداءً من عهد الملك ماصينيسا (238-148 ق م) المؤسِّس الأوّل لكيان سياسي أمازيغي.[2]

وقد أُلِّفت بتلك اللغة كتبٌ تناولت مواضيعُها البحث الدقيق والجدّي في ميادين الرحالات والملاحة والفلاحة بالدرجة الأولى، ملمّة بكلّ كبيرة وصغيرة في تلك المجالات. ومن هذه المؤلّفات كتاب المهندس الزراعي *"ماغون"* في الفلاحة، والذي ترجمه كلٌّ من اليونان والرومان إلى لغتهم واعتمدوه لتطوير نشاطهم الفلاحي.[3] وكتاب " *رحلة حنون*" للبحّار القرطاجي "حنون" الذي حاول الالتفاف بحرا حول قارّة إفريقيا، إذ وصف بدقة شواطئ غينيا في نهاية القرن السادس قبل ميلاد المسيح[4].

---

[1]) ينظر: المرجع نفسه، ص ، 98.

[2]) هو موحّد الأمازيغيين، شجّعهم على حياة الاستقرار وممارسة الفلاحة ونصحهم على بناء المدن، ثمّ هو جدّ البطل الجزائري يوغرطة الذي حارب الرومان وقد شبّهه المؤرّخون بالأمير عبد القادر.

[3]): مبارك الميلي،ج 1 ص ،122.

[4]) ينظر: نفسه.

لقد حُظي أهل نوميديا[1] بثراء كبير في الجانب الثقافي وخاصّة اللغوي منه، وخيرُ دليل على ذلك أنّ اللغة البونيقية بقيت متداولة بين الأهالي بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق م، كما أنّ آثارها لازالت ملحوظة في اللّهجة المغربية إلى يومنا هذا حتّى أنّ الدكتور عبده لمام رأى فيها الأصل الأكبر للعامية الجزائرية[2].

2.2 اتصال الأمازيغ بالرومان

بدأ النفوذ الروماني يتسرّب تدريجيًّا في المغرب بعد زوال الدولة البونيقية سنة 146 ق م ثمّ أصبح مسيطرًا عليه منذ سنة 40 م وانتهى بدخول الوندال إلى المغرب سنة 429 م.[3]وتميز حكم الرومان في المغرب بإدارته غير المباشرة في بداية الأمر، وذلك بإسناد الحكم إلى الملوك

---

[1]) من الكلمة اليونانية" توماد بمعنى الرحل،نقلا عن:

محمد الهادي حارش، **دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، د ط،2001، ص193.

[2] ***) Elimam. A Le Maghribi alias "Ed-Daridja" la langue consensuelle du Maghreb- Edition Dâr el-Gharb – 2003.***

[3] ينظر: خليفة بن عمارة، **لمحة تاريخية عن الجنوب الغربي الجزائري الأعلى** ج1، ترجمة بوداود عمير، مكتبة جودي مسعود، النعامة-الجزائر، د.ط، د.ت، ص53.

النوميديين والموريين[1] تحت حماية روما، وكان ذلك من سنة 146 ق.م إلى 40 بعد الميلاد. ثم بعد هذه السنة تدخّل الرومان في كل أمور المغرب، وحكموه بصفة مباشرة إلى سنة جلاءه منه.[2] ودام حكم الرومان بالمغرب أزيد من خمسة قرون.

أما بخصوص علاقة الأمازيغ بالرومان فلم تكن كعلاقتهم بالفينيقيين، ذلك لأن الرومان دخلوا إلى بلادهم بالقوّة والتدمير، إضافةً إلى نظرتهم إلى الأمازيغ على أنهم جنس جاهل ومتخلف فاحتقروا اللغة البربرية، وهيأة الأمازيغ وتقاليدهم، ووصفوا من يكلّمهم بالأمازيغية ويتمسك بشخصيته بالجاهل والمنحطّ [3].وفي مقابل ذلك حاولوا كل ما في وسعهم صبغ الأمازيغ بالصبغة الرومانية ليَتَرَوْمَنوا، ولكن كل جهودهم باءت بالفشل ويؤكد ذلك

---

[1]–المور من الأسماء المعروفة في المجتمع البربري القديم،وكان يطلق على مجموعة من القبائل في المغرب الأقصى، ويذكر جوليان أن الرومان ما لبثوا حتى عمموا هذا الإسم على جميع سكان بلاد المغرب.نقلا عن محمد المختار العرباوي،**البربر عرب قدامى**،المجلس القومي للثقافة العربية،الرباط–المملكة المغربية،ط1993،1،ص234

[2]–ينظر:محمد مختار العرباوي، ص53

[3]–ينظرمحمد علي دبوز **تاريخ المغرب الكبير ج1**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط1، 1984،ص395.

الدكتور رشيد الناضوري فيقول «وحقيقة كون الرومان ينتمون إلى عائلة الشعوب الهندوأوروبية، وكذلك سيادتهم العسكرية قد حال دون استطاعتهم، رغم محاولاتهم الكثيرة، تحويل البربر إلى شعب روماني النزعة »[1]

وقد ادّعى الكثير من المؤرخين الأوروبيين المتعصبين لجنسهم أنّ الرومان كان لهم الفضل الكبير في نشر الحضارة في المغرب، وتطويره وإخراجه من غياهب العصر الحجري المظلم، وتعليمه أساليب الزراعة والصناعة وتمدينهم.

ويسوق لنا الدكتور عثمان سعدي حقيقة الأمر وهدف الأوروبيين من وراء هذه المزاعم فيقول«من الغريب أنّ المؤرخين الرومان والأوروبيّين حاولوا إقناعنا بأن الرومان هم الذين أدخلوا التطور والحضارة إلى نوميديا والبربر. لكن الحقيقة التي تعمدوا إخفاءها هي أن الذي أدخل الحضارة لسكان شمال إفريقيا وأخرجهم من العصور المظلمة...هم الفينيقيون»[2].ويؤكد هذه الحقيقة الدكتور الناضوري فيقول«عندما اتصل الفينيقيون بالبربر الذين كانوا لايزالون في مرحلة العصر الحجري الحديث، بدأت العلاقات الفينيقية

[1] رشيد الناضوري ،**المغرب الكبير** –1–**العصور القديمة**، دار النهضة العربية بيروت لبنان ط1981،ص287.
[2]–عثمان سعدي، ص58.

البربرية في التطور في المجالات الاقتصادية والحضارية مما ساعد على انتقال البربر من المرحلة القبلية البحتة إلى مراحل أكثر تقدما نحو تكوين دولة بربرية.»[1]

كما توجد شهادات لمؤرخين أوروبيين نزهاء، يؤكدون فيها تناقض البربر مع الرومان، وعدم اندماجهم فيهم ولا في حضارتهم، فمحررو مادة (بربر) في موسوعة يونفرساليس (Universalis) ذكروا بأنّ: « القبائل البربرية لم ترضخ للرومان، بل استمرّت في تمرّدها ضدّهم، فالحضارة الرومانية لم تدمج في بوتقتها البربر، كما أنّ الحضارة الرومانية لم تؤثر سوى على قلّة قليلة جدا من المغاربة. »[2]

ويُستخلص من هذه الأقوال أن الأمازيغ نبذوا الحضارة الرومانية لأنها تنكرهم باحتقار الرومان لهم والإساءة إليهم، وحمل الذل والهوان عليهم، فلذلك أعرضوا عنها وعن تعلُّم اللغة اللاتينية إلا فئة قليلة وهم « سكان المدن والمجندون، والعمّال من أبناء القرى الذين اختلطوا بالرومان أو تعلموا في مدارسهم ... ولكن البربر في القرى والجبال وفي الصحراء نفروا

---

[1]– رشيد الناضوري،ص221.

[2]– موسوعة يونيفرساليس، م3 ،ص170.نقلا عن، عثمان سعدي،ص59.

من اللغة الرومانية نفورهم من الرومان، وظلّت اللغة البونيقية إلى الفتح الإسلامي هي اللغة التي يحسنونها ويكتبون بها مع البربرية.»[1]

ويُرجع الدكتور الناضوري سبب عدم تجاوب الأمازيغ للغة اللاتينية وانقراضها من المغرب، كون الرومان شعب « يرجع في أصوله إلى عائلة الشعوب واللغات الهندية الأوروبية فهو يختلف عن عائلة الشعوب واللغات السامية والحامية التي ترجع في أصولها إلى شبه الجزيرة العربية. وعلى الرغم من الفوارق اللغوية والحضارية بين العناصر السامية والحامية فإنهما يرجعان إلى أصول مشتركة تحمل في جذورها بعض المفاهيم الأقرب اتصالا من تلك الخاصة بالعناصر الهندية الأوروبية. »[2]

كان الاستعمار الروماني استيطانيًا اقتصاديًا، ومن الإيجابيات التي سجّلها التاريخ للجزائر أثناء العهد الروماني أنّ هذه البلاد أنجبت جماعة من الأبطال الثوّار، ونخبةً من المثقّفين الأمازيغ الذين تأثّروا وأثّروا في الحضارات التي مرّت في المنطقة، ومن بين هؤلاء الأمازيغي أبولي من مداورش (Apulée de Madaure=125– 180م) الذي كان يُتقن اللغتين

---

[1]–محمد علي دبوز،ج1، ص411.

[2]–رشيد الناضوري ،ج1 ،ص288.

الإغريقية واللاتينية. فكان يقول عن نفسه بنوع من الافتخار إنّه نصف نوميدي، ونصف جيتولي[1]، ومن مؤلّفاته التي نالت سُمعةً عالميةً "الحمار الذهبي"= l'âne d'or وقد قال عنه جلبير مونيي (Gilbert Meunier) : « يمكن قراءة هذا الكتاب كبحثٍ روحيٍّ في قلب القرن الثاني بعد ظهور المسيحية في إفريقيا الشمالية.»[2] وأُعجب القدّيس أُغسطين بهذا الرجل الأديب، فصرّح برأيه فيه قائلا : «إنّ أبوليوس هو الرجل الإفريقي الوحيد الذي تمتّع بالحظوة الواسعة لدينا نحن الأفارقة»[3]. وقال أبو الريحان البيروني[4]عنه:«إنّه من أكمل الرجال وأعظمهم فائدةً في عصره»[5].

لقد ظهر هذا التفتّح الديني والثقافي كوُضوح الشمس في شخصية القدّيس أوغسطين (354-430) إذ كتب عنه البيروني مؤكّدًا ومعترفًا بقيمة

---

[1] باليونانية قايتولة، بالبونيقية قيدولا(بمعنى الأمة الكبيرة)وباللاتينية جيتولي،من الجيتول وهم سكان الهضاب العليا وشمال الصحراء نقلا عن،خليفة بن عمارة ص45.

[2])Djilali Sari , **L'Algérie des origines,** Quotidien d'Oran en date du15/03/2007- P: 11.

[3]) نفسه،ص11.

[4]) ولد بضواحي خوارزم و هو مؤلف عربي من أصل فارسي درس الرياضيات و الفلك و الطبّ و التقويم و التاريخ والعلوم اليونانية والهندية، كانت بينه و بين ابن سينا مراسلة ومن أشهر مؤلفاته :{**الآثار الباقية من القرون الخالية**}

[5]) أ محمّد الطمّار **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، 1984،ص60.

القدّيس إذ قال فيه: «هو أخطب خطيب لاتيني وأكبر مفكّر كلّ زمن»[1].

وكان القدّيس–هو الآخر– مزدوج اللغة إذ كان يُتقن البونيقية واللاتينية معًا.

وكان من حسن حظّ الجزائر أنّها احتفظت بأكبر كميّة من الكتابات اللاتينية إذا ما قارنّاها مع البلدان التي احتلّتها روما.[2]

3.2 اتصال الأمازيغ بالوندال والبيزنطيين

الوندال شعب يرجع أصله إلى القوط، وهم أبناء عمومة الجرمان[3]، نزحوا من شمال أوروبا و أخذوا في احتلال فرنسا (غالة سابقا)، ومن ثمّ عبروا جبال البرانيس (البيرني) إلى إسبانيا (إيبيريا قديما) واستولوا عليها عام409 م، ومن ذلك الوقت دُعيت البلاد باسمهم (وندالوسيا) (vandalus) وصحفه العرب الفاتحون إلى اسم الأندلس.[4]

دخل الوندال إلى بلاد المغرب بناءًا على طلب من والي المغرب الروماني "**بونيفاس**" الذي عزلته روما من منصبه بسبب مؤامرة[5] دبّرها هو

---

[1]) السابق، ص 60.

[2]ينظر: djilali sari ,p11 –

[3]–ينظر: محمد علي دبوز،ج1، ص421

[4]–ينظر:يحي بوعزيز، "**الموجز في تاريخ الجزائر– ج1– الجزائر القديمة و الوسيطة**"، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ط2، 1995، ص63.

[5]–ينظر:محمد علي دبوز،ج1، ص421

لمصالحه الشخصية، فاستنجد بالوندال الذين كانوا يحكمون اسبانيا آنذاك «فلبوا طلبه وعبروا مضيق جبل طارق إلى إفريقيا عام 429 م في جموع كثيرة تقدر بنحو ثمانين ألف شخص...يقودهم ملكهم **جزريك** **(Gaiseric)**(419-477) وسيطروا على الجزء الغربي من الشمال الإفريقي.»[1]

ثم بدأ الوندال بالتوسع في البلاد، وأعلنوا الحرب مرتين على الإدارة الرومانية بالشرق، وفي المرة الأخيرة اكتسحوا مدينة قرطاجة وهزموا الرومان وطردوهم من المغرب كلّه نهائيا سنة 439 م.[2]

أمّا عن حضارة الوندال وما خلّفوا وراءهم يقول الدكتور يحي بوعزيز: « لم يكن الوندال أهل حضارة ولا كانوا يقدّرون القيم الحضارية، بل إنهم قوم غلاظ يرتبط اسمهم بكل مفاهيم الوحشية والهمجية، حكموا البلاد بالاستبداد... وبالغوا في ممارسة سياسة النهب والسلب وتهديم كل معالم الحضارة والعمران، بقدر ما كانوا ينغمسون في حياة اللهو والمجون»[3].ولهذا

---

[1]- يحي بوعزيز،ص63.

[2]-ينظر: نفسه، ص64.

[3]- نفسه، ص64،65.

لم يترك الوندال وراءهم أيَّ أثر حضاري في المغرب سوى الدمار والخراب.

يرى بعض الدارسين بخصوص تأثير الوندال في الأمازيغ أن عدم تفاعل الأمازيغ مع الرومان نفسه قد تم إزاء الوندال، فقد قضوا مدة احتلالهم لبلاد المغرب في سلسلة من الحروب والثورات العنيفة مع الأمازيغ.[1] فالأمازيغ حرّروا معظم مناطق النفوذ الوندالي، «وانتزعوا منهم موريطانيا ونوميديا..وتمادى البربر في فتوحهم وانغمس الوندال في الملاذ..وخارت عزائمهم في الحرب..واغتنم إمبراطور بيزنطة **يوستينيانوس الأول** (جوستينيان في بعض المراجع) فرصة انحطاط النفوذ الوندالي بالمغرب وأرسل قائده بليزار فانتصر عليهم بسهولة تامة سنة 534م.»[2]

وبهذا انتهى عصر الوندال بالمغرب الذي دام قرنا وخمس سنوات ليخلفه ورثة روما وهم البيزنطيون، ويسمّيهم العرب الروم.[3]

---

[1]-ينظر:عثمان سعدي، ص59.

[2]-عثمان الكعاك، ص80.

[3]-ينظر: نفسه ، ص81.

لقد ترك البيزنطيون بعض البصمات من جرّاء وجودهم في هذه المنطقة، غير أنّ هذه المخلّفات الباقية لم تكن كسابقاتها من الحضارات ذات الأهميّة الكبرى والفائدة العلمية، إذ قال الأستاذ مبارك الميلي: « والخلاصة أن تاريخ الروم بإفريقية كلّه حروب، أكثرها للبربر.أمّا علّة كثرة الحروب فهي تشبُّع البربر من مبدأ الاستقلال، وطمع الروم في إرث الرومان من غير نظر إلى الظروف..وللروم من البنايات سوى الأسوار والحصون، وتشييد الكنائس.وليس لهم من البنايات العمومية غيرها.»[1]

ويوافقه الرأي الدكتور بوعزيز الذي أكّد أنّ البيزنطيين لم يقوموا « بعمل ذي بال في ميادين الإصلاح ولم يخلّفوا وراءهم سوى بعض الحصون والقلاع العسكرية، فلم تزدهر الثقافة ولم يكثر العمران.»[2].

لابدّ في الأخير أن نشير كيف انهزم البيزنطيون وطردوا من شمال إفريقيا ومن ساعد على ذلك.

توالى على الحكم في شمال إفريقيا عدة أباطرة بيزنطيين آخرهم **جرجريوس الثاني** (المعروف عند العرب "بجرجير") الذي « زحف خلال

---

[1]-مبارك الميلي،ج1، ص274،275.

[2]-عثمان الكعاك،ج1، ص68.

ولايته العرب الفاتحون من الشرق عام 27هـ (647م) بقيادة حاكم مصر **عبد الله بن سعد بن أبي سرح**، وحاصروه في مدينة سُبَيطلة التي تقع في الوسط التونسي...وتمكّنوا من قتله وتشتيت جموعه، وبذلك انطوت صفحات تاريخ العهود المظلمة.»[1]

هذه العهود المظلمة في تاريخ شمال إفريقيا يتحدث عنها البيروني ويصفها حق الوصف فيقول: « القرن الرابع الذي سقطت فيه حكومة رومة والقرن الخامس الذي استولى فيه الوندال والقرن السادس الذي مكن فيه البيزنطيون نفوذهم بإفريقية–هذه القرون كانت أهوال وحروب مبيدة...وقد كانت هذه القرون علة في مرض إفريقيا اجتماعيا واقتصاديا. ذهبت الفنون الجميلة، وعطلت الأراضي الفلاحية، وتنوسيت الأساليب العلمية »[2].

وبدخول العرب الفاتحين إلى شمال إفريقيا ومحاربتهم الروم ثمّ انتصارهم عليهم في سبيطلة عام 647 م، يكون قد انتهى عصر البيزنطيين بالمغرب كله الذي دام قرنا وثلاث عشرة سنة.

---

[1]– عثمان الكعاك ،ص68.

[2]– البيروني، نقلا عن: مبارك الميلي،ج1، ص277.

4.2اتصال الأمازيغ بالعرب الفاتحين

لم يكن فتح العرب المسلمين لبلاد المغرب بالأمر الهيِّن فقد ثار الأمازيغ عليهم كما ثاروا على من كان قبلهم. فبعد فتح سبيطلة واصل العرب فتوحاتِهم بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي قام بحملته العظيمة سنة 681م والتي مرّ فيها « بلميس وتاهرت، ثم سبتة، وطنجة وأوليلي، volubilis، و نفيس في ديار مصمودة، وتارودنت في منطقة السوس إلى أن بلغ شاطىء المحيط الأطلسي. »[1] وبذلك فتح عقبة بن نافع بلاد المغرب من شرقه إلى حدود المحيط الأطلسي، ولكن عند عودته واجه ثورات بربرية عنيفة فقُتِل سنة 683 م في بلدة تهوذة جنوب قسنطينة، وكاد الأمازيغ أن ينتصروا على العرب المسلمين، وصار الأمازيغ سادة البلاد فترة من الزمن تحت قيادة كُسَيْلَة أولا، ثم الكاهِنة ثانيا ذات الشخصية الفذة.[2]

---

[1]-ألفرد بل، ص84.

[2]-ينظر: نفسه، ص84،85.

غير أن حكام المسلمين في المشرق لم يصمتوا على هذا بل« أرسلوا قوادا عربا ومحاربين آخرين وانتهت حملات هؤلاء بالسيطرة التامة على إفريقية وإخضاع البربر لحكم العرب والإسلام.»[1]

وبهذا أخذ الأمازيغ في التعامل مع عنصر جديد يحمل عقيدة ومبادئ سمحة تتمثل في الإسلام، كما أن الخليفة عمر بن عبد العزيز عزّز بلاد المغرب بإرسال «عشرة من الفقهاء لتعليم البربر أصول الديانة الإسلامية فكانوا عمدة في انتشار الإسلام وثبوت العقيدة بأدمغة السكّان الأصلين. أمّا العربية فإنها سايرت الإسلام خطوة خطوة وانتشرت بانتشاره في ربوع المغرب.»[2]

ويلاحظ من كتب التاريخ أنّ الأمازيغ استطاعوا أن يندمجوا مع العرب في وقت قصير وأن يتعلّموا مبادئ الإسلام ومناسكه واللغة العربية وأن يتقنوها « ولم تكد تمرّ فترة تقلّ عن خمسين سنة حتى وجدنا المغاربة وقد صاروا

---

[1]- السابق، ص85.

[2]-عثمان الكعاك، ص107.

جميعا مسلمين عربا، يتحدثون بالعربية ويكتبونها ويخطبون بها بفصاحة تنذر حتى بين خطباء الجزيرة العربية.»[1]

وعلى وجه العموم فإنّ التاريخ يشهد أنّ الأمازيغ أخذوا نصيبًا من لغات وثقافة الأمم التي نزلت سلمًا في بلادهم والتي احتكّوا بها عن قرب والأخرى التي احتلّت بلادهم بقوّة السيف، ولكن رغم كل هذا، فإنهم حافظوا على شخصيتهم وكرامتهم مدى العصور.

3-الوضعيـــة اللغويـــة في الجزائـــر:

إنّ تاريخ الجزائر قد سيّرته عوامل ووجّهته ظواهر مختلفة، فكانت ولا تزال بموقعها الاستراتيجي تُعدُّ ممرًّا يربط بين العالميْن الشمالي والجنوبي، أو بوّابة تُفتَح على المنطقتين الشرقية والغربية من الكرة الأرضية.

---

[1]-عثمان سعدي، ص61.

كان لاتصال الجزائر واحتكاكها بالكثير من الشعوب الأثر البالغ في تأثُّر لُغَتِها بلغات تلك الشعوب كالبونيقية والإغريقية واللاتينية والجرمانية والعربية والاسبانية والتركية والفرنسية.[1] كما كانت قد تمتّعت باتّصالات بشرية في أقدم عصورها كاتصالها بالجاليات اليهودية وسكّان مصر القدماء على الحدود الشرقية واللهجات غير اللاتينية لمجموعات من الناس سكنوا في الساحل الشمالي لحوض البحر المتوسّط الغربي كالكتالانية (Catalagne) والباسكية (Basque) واللغندوسية (Langdocienne) وغيرها، ومن الجنوب مع اللغات الإفريقية مثل الهوسة (Haoussa) والسانغية (Songhaï) والمندزغية (Mandingue).[2]

إنّ المشهد اللغوي في الجزائر، وكذلك في البلدان المجاورة لها يَتمثّل في تعايش عدّة لهجات يستعملُها المغاربة لمقاصد تواصلية ووظائف سوسيولسانية متنوّعة.

---

[1]-ينظر:عبد الرحمن الجيلالي،ج2،ص34.

[2]-ينظر:

SALEM CHAKER: le berbére,une langue vivante à la croisée des échanges méditerranées,paris,sorbonne,2003,p131.

يُعدُّ هذا المشهد مزيجا لغويّا يُنذر وجوده في أغلب الأقطار الأخرى، وهو يتشكّل من اللغة العربية الفصحى وتَجلياتِها المتعدّدة من لّهجات، ومن اللغة الأمازيغية بفروعها المختلفة، ومن لغات أجنبية كالاسبانية والتركية والايطالية والفرنسية وغيرها. ولا يُمكن أن نفهم هذه الحقيقة اللغوية إلاّ إذا عدنا إلى تاريخ الجزائر في مراحله القديمة لنستبين مّا وقع فيه من أحداث أثّرت في لغة الأجداد تأثيرًا عميقا أو خفيفا حسب الظروف، ولنطّلع عمّا هو غائب عن أذهاننا، فنكتشف أسرار وعوامل تَكَوُّن هذا الواقع اللهجي.

كانت الجزائر على الدوام « خاضعة للتأثير وفي بعض الأحيان لمصير الحضارات التي كانت أجنبية عنها»[1]، فقد عُثِر في عدّة نواحي منها على « بعض الكتابات الثنائية اللغة، لوبية-بونيقية أو لوبية-لاتينية»[2]، ومن هنا يتّضح لنا أنّ سكّان الجزائر كوّنوا-منذ القدم- مُجتمعًا ثنائيَّ اللغة إن لم نقل متعدّدَ اللغات، وما تعدّدُ اللغات (multilinguisme) إلاّ شكلٌ أكبر وأوسع لِتعدّد اللّهجات (multi dialectalisme). يقول روبانس (Robins)

---

[1] - Charles André Julien –«**L'histoire de l'Afrique du Nord**» –Tome 1–édition : Payot 1931page 49.
[2] - *Kaddache Mahfoûd* – " **L'Algérie dans l'antiquité**" – *édition : S.N.E.D. 1972 – page 32.*

« هذه المجتمعات الثنائية اللغة أو المتعدّدة اللغات تُمثّل شكلا من المجتمعات المتعدّدة اللّهجات الموجودة في الكثير من مدن العالم الكبرى.»[1]

عجز العلماء بكلّ اختصاصاتهم عن الاطّلاع على الوضعية اللغوية في الجزائر أثناء فترة ما قبل التاريخ، غير أنّ كلّ ما أفادتنا به أمّهات المصادر والمراجع التاريخية وأكّدته لنا سجّلات القدماء من مُختلف النقوش، أنّ الجزائر كانت آهلة في حِقبٍ زمنية غابرة بأقوام يُدعَون باللوبيّين تكلّموا بلغتهم التي فطروا عليها، ثُمّ تأثّروا نسبيًّا بلغة الفينيقيين حين قدموا إلى المنطقة، فاخترعوا-محاكاةً للفينيقيين- أبجدية خاصّة بِهم تتاسب أصوات لغتهم. وقد أُطلِق على تلك الكتابة اسم الخطّ اللوبي الذي لازالت بعض رموزه المنقوشة لم تُفكّ بعد على الرغم من وجود بعض النقوش المزدوجة اللغة (لوبية-بونية) و(لوبية -لاتينية)[2].

---

[1] - *Robins R.H* **"General linguistics : An introductay Surey "** *:Longman London -3rd édition 1964 – page 302.*

[2] ينظر:

G. Marcy – **"Les inscriptions lybiques bilingues de l'Afrique du Nord"** Imprimerie nationale-Paris : 1936.P20-25

وقد عدّ العلماء تلك النقوش وقدّروها بِحوالي عشرين (20) نصًّا موزّعا على كامل تراب المغرب العربي؛ نذكر منها على سبيل المثال، نصّ دوقة (Dougga[1]) الأوّل والثاني، وكذا نصّ "رأس جينات" بالوسط الجزائري وغيرها[2]. ويظهر من هذه النقوش وغيرها أنّ الملوك النوميديّين المنحدرين من الأصل اللوبي لم يكتبوا بالحروف اللوبية ولم يتّخذوا اللغة اللوبية لغة رسميّة في مُعاملاتِهم الداخلية والخارجية، بل كانوا يستعملون اللغة البونيقية حديثًا وكتابةً، وهذا أمرٌ متّفق عليه بين أوساط العلماء والدارسين.[3]

ومن المنطقي أن السكّان المحليِّين الذين أقاموا في القرى لم ينكروا لغتهم اللوبية ولم يُهملوها، بل كانت سائدة شفهيا وكتابة، وإلاّ فلِما توارثها أبناءهم حتى الآن. وممّا يؤكد بقاءها، وجودُ بقايا رموز كثيرة الانتشار

---

[1] - قرية في شمال تونس و كانت في الماضي البعيد تُسمّى بِ طوغا "Thugga".

[2] - ينظر: محمد الصغير غانم،المملكة النوميدية والحضارة البونية،دار الهدى،عين ميلة الجزائر،د.ط، 2006 ،ص2.

[3] - ينظر: نفسه، ص 135.

لاسيّما في الركن الشّمالي الشّرقي من القطر الجزائري وشمال غرب البلاد التونسية[1].

ومن المعروف أنّ الأمازيغ لم يُحبّذوا الاحتلال الروماني ولم يفرحوا به بل قاوموه بالنفس والنفيس ورغم ذلك، فقد استطاع الرومان أن يتركوا آثارا للغتهم.

ترك الرومان بقايا تاريخية تُعدُّ من أضخم الآثار التي شيّدوها في الجزائر، بل استطاعوا أن يفرضوا لغتَهم اللاتينية على طبقة معيّنة وقليلة من الأفراد، فبرزت نُخبة من المثقّفين الأمازيغ كتبوا بتلك اللغة أمثال أبوليوس (Apulée) 125–180 وكتابه الحمار الذهبي، والقدّيس أوغسطين (Saint Augustin) 354–430 ومن أشهر مؤلّفاتِه {مدينة الإله} و{الاعترافات} و{العناية الإلَهية}[2]، ويوبا الثاني[3] الذي لُقِّب بِملكِ الأدباء وأديب الملوك، فقد

---

[1]-A.J.B.Chabot – **" Recueil des inscriptions libyques"** – Paris – 1940- pages 3 et 4- Inscriscription N°4.

[2]-ينظر:عبد الرحمن الجيلالي، ج2 ، ص81.

[3]-كان متزوّجا بكليوبطرا سيليني بنت كليوبطرا الملكة المصرية المشهورة، وقد دُفن الاثنان فيما يُعرف بقبر الرومية بالقرب من مدينة شرشال. ينظر: المرجع نفسه، ص81.

ألّف كتابًا عنوانه {أفريكا نوفا } ضاع ولم يصلنا منه إلاّ بعض المقاطع استشهد بِها كتّابٌ و مؤرّخون عاشوا بعده. فلا غرابة إذن أن نجد في لهجات سكّان الجزائر بعض الكلمات اللاتينية نذكر منها على سبيل المثال لفظة اسكويلة (Scola-scolae) التي تعني المدرسة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ فترتَي الاستعمار الوندالي والبيزنطي للمنطقة لم يتميّز ببقاء آثار لغوية. إذ لم يكن لمسيِّري الدولة البيزنطية الوقت الكافي ليهتمّوا بالجانب الثقافي واللغوي بشكل خاصّ، نظرا للفتن التي كانت تعاني منها هذه الدولة.

انطلاقًا من عام 646 م= 26 ه وصل العرب المسلمون إلى شمال إفريقيا لتبليغ الدين الإسلامي إلى أهاليها. وقد تَمّت عملية الفتح حوالي سنة 710 م= 92 ه[1]، فاعتنق الأمازيغ هذا الدين وشرعوا في تعلُّم وفهم سور قرآنيةٍ قصيرةٍ لأداء فريضة الصلاة، وكذا تعلّموا النطق ومعرفة المعنى لبعض الكلمات من لغة الضاد والقليل من عباراتِها ذات الأهَمية الدينية

[1]- ينظر:عبد الرحمن الجيلالي،ج2 ،ص 123.

الضرورية كالله أكبر، والسلام عليكم، وسبحان الله وغيرها. فعمّ البلاد الإسلام وشمله، ولَم يبدأ التعريب الفعلي والحقيقي للأمازيغ إلاّ خلال القرن الحادي عشر الميلادي الموافق للقرن الخامس الهجري، إثر نُزوح قبائل بني هلال وبني سليم – وبني معقل فيما بعد – القادمين من صعيد مصر[1].

لم تدخل تلك القبائل البدوية البلاد من باب اللطافة، فقد أفسدوا بأقصى درجات العنف، وزاغوا عن الرشد والصواب، ورأى منهم الأمازيغ الأهوالَ والمتاعب،[2] وهذا ما يُركّز عليه معظم المؤرّخين الأوربيين والمستشرقين وسلّطوا عليه الأضواء.

ولكن رغم هذا الفساد الذي أحدثه هؤلاء البدو، فقد كان لهم دورٌ إيجابي جدّا تجاه أبناء المنطقة، تَمثّل في نشر وتوسيع نطاق اللغة العربية في المجتمع الأمازيغي. يقول غسطاف لوبون (Gustave Lebon) المؤرّخ الفرنسي في كتابه "حضارة العرب" : « ...لمّا حشر العرب جموعًا كثيرة في إفريقيا حوّلوا فريقًا كبيرًا من البربر إلى عرب وتدفّق العرب كالسيل

---

[1]–ينظر: السابق، ص260.

[2]–ينظر: نفسه، ص 260.

على إفريقيا.وقام بذلك الغزوِ أعرابُ الحجاز الذين كانوا يقطنون بمصر العليا في زمن الخلفاء الفاطميين. وكان الأمرُ غارةَ أمّة لا غارةً عسكرية.ولَم يَملأ العربُ شَمال إفريقيا إلاّ بالتدريج. واختلطوا بالسكّان رويدًا رويدًا وزاد عددهم شيئًا فشيئًا وفرضوا، بفضل كثرتِهم على البربر، عاداتِهم ودينَهم ولغتَهم بعد بضعة أجيال»[1].

إنّ وصول الفتح الإسلامي إلى جزر صقيلية وإسبانيا أدّى إلى اتّساع رقعة الدولة الإسلامية، ممّا جعل جهازها الإداري يضعف، فسهّل ذلك لأعداء الإسلام القيام بعدّة غزوات، كان الهدف منها القضاء التامّ على الوجود العربي الإسلامي في صقيلية وإسبانيا. وبعد تمكُّنهم من ذلك، طردوا العرب من تلك المناطق، فلجأ هؤلاء(الأندلسيون) إلى الجزائر.

---

[1] – غوستاف لوبن، ص 256،257.

كان لهجرة الأندلسيين «أثرٌ كبير على المجتمع الجزائري من جميع النواحي ولعلّ القرن التاسع قد شهد أكبرَ موجةٍ من موجات هذه الهجرة ففيه اشتدّت وطأة الإسبان على بقايا المسلمين في الأندلس»[1].

كانت فئات المهاجرين تتكوّن من أبناء الشعب البسطاء ومن أحفاد الملوك والحكّام والوجهاء وكان فيهم أرباب الصنائع وأصحاب القلم فأثّروا في سكّان المغرب العربي أيّما تأثيرٍ «وهكذا كانت المأساة الإنسانية في الأندلس خيرًا وبركةً على مجتمع المغرب العربي الذي كان دائمًا يلعب دورَ الوسيط في الإنتاج الثقافي وليس دور المنتج»[2]. وممّا لا شكّ فيه أنّ أولئك القادمين أضافوا إلى لهجة المغاربة مفرداتٍ وتراكيبَ جديدةً كما أنّهم تعلّموا بدورهم من الأهالي أساليب لهجية كانوا لا يستعملونها.

وبعد أن طرد الإسبان المسلمين من الأندلس أرادوا احتلال الجزائر، فسيطروا على بعض مناطقها الساحلية كوهران وبني صاف وغيرهما، مدة من الزمن، الأمر الذي أدّى إلى حدوث تأثير وتأثُّر بين اللغتين. فاستنجد

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي لفترتي 1500 إلى 1830**،-دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1998، ص46.

[2]) نفسه، ص47.

الجزائريون بالأتراك الذين كانوا قد أسّسوا الدولة العثمانية في قارّة آسيا ثمّ في جزء من القارّة الأوربية، وذلك بعدما استولى محمّد الثاني على القسطنطينية عام 1453م[1]. فنصّبت الدولة العثمانية نفسَها مهمة الدفاع والحماية للدول الإسلامية. ومن هنا، دخلت اللغة التركية المجتمع الجزائري. واقتبس منها الأهالي بعض الكلمات وأدمجوها في كلامهم بعد ما أدخلوا عليها تغيُّرات تتماشى ولغتَهم. ثمّ أصاب الدولة العثمانية الضعف والهوان، الأمر الذي سهّل على الفرنسيين احتلال الجزائر.

كان الفرنسيون يزعمون أنّهم جاؤوا لاسترجاع الأراضي التي كانت ملكًا لأجدادهم الرومان ثمّ البيزنطيين[2]. وكان هذا الغزو سببًا لتعلُّم أبناء الجزائر اللغة الفرنسية فأخذوا منها مفردات كثيرة أدخلوها في لهجتهم العربية وفي اللغة الأمازيغية أيضا.

لازالت الفرنسية، بالرغم من مرور حوالي نصف قرن على استقلال الجزائر، تلعب دورًا هامًّا في عدّة مَجالات، كالمراسلة والتأليف والتواصل

---

[1]-ينظر: عبد الرحمن الجيلالي،ج3، ص9.

[2]-ينظر: نفسه، ص97.

الشفهي. فالواقع اللساني المحلّي يَجعلنا نلمس بكلّ وضوحٍ أنّ عددًا كبيرًا من الكلمات الفرنسية طغت على اللهجة الجزائرية، ممّا جعلها صعبة الفهم لدى العرب المشارقة، فمثلا إذا تَحدّث الجزائري مع المصري أو العراقي أوالأردُني يتساءل المخاطَبُ بأيّ لغة يتكلّم معه هذا الجزائري[1].

يُستخلَص من هذا كلّه أنّ الجزائر بلد تعايشت على أرضه عدّة لغات لأغراضٍ تواصليةٍ ووظائفَ سوسيولغوية مُختلفة[2]، فاللغة العربية الفصحى تُمثِل اللغة الرسمية للوطن، إضافة إلى اللّهجات المحلية المتنوّعة التي هي مزيج من العربية والأمازيغية والفرنسية مع استعمال بعض الألفاظ الاسبانية والتركية.

إن اللهجة الجزائرية التي يتحدث بها الجزائريون تعتريها ظاهرة لغوية تسمى الانتقال اللُّغوي الفوري.

---

[1] ينظر:غوسطاف لوبون، ص440.

[2] ينظر: شامي عبد الكريم، **دراسة صوتية ودلالية للدخيل الإسباني في لهجة بني صافي**، مخطوط مذكرة ماجيستير في علم اللهجات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،2000-2001، ص29.

- **الانتقال اللُّغوي الفوري:** (code switching)

يُعرَّف الانتقال اللغوي الفوري بأنّه « انتقال متكلِّم من لغةٍ أو صنف لغوي ما إلى لغة أخرى، ويُمكن لِهذا النوعِ من الانتقال أن يَحصلَ أثناء الحديث بين شخصين، فيبدأ المتكلم حديثَه بلغةٍ ثَمّ يتحوّل منها إلى لغةٍ أخرى وفي بعض الأحيان تقع هذه الظاهرة في منتصف الجملة الواحدة وفي هذه الحالة يكون الإنسان في وضعية الانتقال اللغوي الفوري»[1].

هذه الظاهرة كثيرة الاستعمال في جلّ اللهجات الجزائرية، وتعتبر ظاهرة طبيعية في حديث الجزائريين، ولكن إذا سمعها العرب من أهل المشرق وحتى المستشرقين وجدوا فيها نوعا من الصعوبة في الفهم. ومثالا على هذا، القول المشهور والمتداول في المواقع الإلكترونية: *" محمد ضَرْبَاتُو طُومُوبِيل وادَّاوه دِيرِيكْتْ لَسْبِيطَارْ."*

[1] -Richards, Jack and Al. – **" Longman dictionary of applied linguistics"** -1983– page 43.

يلاحظ في هذه الجملة استعمال عدة لغات، فكلمة- ضَرْبَاتُو- عربية، وكلمتي طوموبيل ودِيرِيكْتْ فرنسيتين أصلهما -direct - automobile، وأما كلمة -سْبِيطَارْ-فهي تركية الأصل.

- **الديغلوسيا :**

هي ظاهرة لغوية جديدة أعطاها علماء اللغة تعارفَ عديدة تماشيًّا مع نظرتِهم إليها. فيعرفها فرغوسون (Fergusson) واضع مصطلح "ديغلوسيا" بأنها:« حالة لغوية ثابتة نسبيا توجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية، لغة مشتركة، قواعدها معقدة تعقيدا كبيرًا، تحمل مجموعة ضخمة من النصوص الأدبية، تدرس بشكل موسع بطرق التعليم الرسمية، وتستعمل لكتابة النصوص والخطابات، لكن لا تستعملها أبدا أيّ مجموعة في مجال التخاطب العادي»[1]. ويرى ترودغيل (Trudgil) أنّ « الديغلوسيا هو تعميم نوع من

[1]Fergusson CA–**Diglossia**- tome 2,Cambridge university press,1959,p336.

اللغة بِحيث يتعايش صنفان جنبًا إلى جنب في المجتمع الواحد، وكلّ واحد من الصنفَيْن له مُهمّة اجتماعية خاصّة»[1].

والملاحظة التّي يُمكن استنتاجها من التعريفين هي حتمية وجود صنفين للغة الواحدة في المُجتمع الواحد، يكون أحدُهما خاصًّا بالتأليف والتدريس والخُطب الدينية والرسمية والمعاملات الإدارية والقضائية ويكون الصنف الآخر خاصًّا بالحديث والتواصل بين الناس.

لقد رأى فرغوسون أثناء دراسته لظاهرة الديغلوسيا أن المجتمع يتعايش فيه صنفان من اللغة: « الصنف الراقي(high variety) و رَمَزَ إليه بحرف (H) لكونه الممثّل للغة الرسمية، والصنف المنحطّ (low variety) والذي رمز له بحرف (L) هو المستعمل في الكلام اليومي. كما لاحظ أنّ هناك صنف ثالث والذي سماه الصنف المتوسط (middle variety) وهو شائع الاستعمال في وسائل الإعلام والتربية.»[2]

---

[1] Trudgill,peter- **Sociolinguistics-an Introduction to Language and Society**-pelican books,England, 1983, p 113:

[2] Fergusson CA tome 2,p336.

وصفوة القول أن الوضعية اللغوية في الجزائر تتميز بعدة ظواهر لغوية منها الانتقال اللغوي الفوري، وظاهرة الازدواجية اللغوية، وظاهرة الديغلوسيا. فاللهجة الجزائرية رغم بعدها النسبي عن الفصحى، فإنّها تبقى وطيدةَ العلاقة بأصلها أي بالفصحى والدليل على ذلك أنّ الكثير من مفردات لغة القرآن دخلت لهجتنا وأصبحت مفهومة لدى الجميع مثل الحمد، والناس، والصيف، والجوع، والنعمة، والخوف، والكتاب، والقلب، والحجّ، والعذاب، والعظيم، وغيرها من الأسماء والعبارات.

لا يظن امرؤ أن الشعب الجزائري هو الوحيد الذي يعاني من هذه المشكلة اللغوية، فهناك أُممًا حية معاصرة، وأمما من الماضي البعيد عاشت هذه الوضعية، مثل: الإغريق والرومان والهنود، وغيرهم كثيرين.[1]

[1]-ينظر: محمودعبد المولى، **الفصحى واللهجات**، مجلة اللسان العربي، المجلد 17، ج1، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية،1979، ص87.

الفصل الثاني

نشأة المنطوق الجزائري العربي من

خلال الكتابات العربية

1-تمهيد

إن اللهجات ثمرة طبيعية لتوَزُّع اللغة عـلى محورين: محور عمودي ويمثّـله المكان، ومحور أفقي يمثّله الزمان، وكلا المحورين يُؤثران في بناء اللغة كما يؤثر أحدهما في الآخر.

فامتداد اللغة على المحور الأفقي-محور الزمان- يُكسبها أنماطًا وقواعد وممارسات مستجدّة تأتي بها السنوات والقرون في صيرورتها التطورية. وأما امتدادها على المحور العمودي-محور المكان- فيكسبها ما يمكن أن تتلقّاه من أنماط جديدة تأتي بها البيئات المتنوعة والأمكنة المتعددة، أو تأتي بها عمليات التبادل اللغوي الناتجة عن العلاقات التاريخية والاجتماعية والتواصلية بين أهالي اللغة فيما بينهم وبين الآخرين.

فإذا كانت اللغات قد وُجدت داخل المجتمعات، فاللهجات كذلك مكتسبة يتلقّاها الفرد من مجتمعه وينخرط فيها بالسمع دون إرادة منه في عوالمها[1]،

---

[1]-ينظر:.عبد الغفار حامد هلال، ص27.

كما أنَّ حتمية انتقال اللغات من السلف إلى الخلف ومن جيل سابق إلى جيل لاحق يستوجب تأثرها بعوامل اجتماعية ترد عليها من كلا المحورين.

فعملية الانتقال لا تأتي بالمستجدّات فقط، فقد تسقط من اللغة كثيرًا من العناصر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية التي لا تتوافر أو لا تُناسب الظروف الزمنية والمكانية الجديدة.[1]

فما دامت أي لغة وسيلة تعبير وأداة من أهمّ أدوات التوَاصُل والاتِصال، فمن الضروري أن تُساير حاجة المجتمع وتُواكِب تطوّرَاته والتغيرَات التي تطرأ عليه في البيئات والأزمنة المختلفة، وفي هذه المسايرة تبدأ اللهجات في النشأة[2].

2-ارتباط اللهجات العربية الحديثة باللهجات العربية القديمة:

ترى طائفة من اللغويين العرب أنّ جزءًا كبيرًا وقدرًا وافرًا من الرصيد اللهجي العربي المغاربي ما هو إلا امتداد لِلهجات العربية القديمة.

---

[1] ينظر:السابق، ص34.

[2]-ينظر: نفسه،ص452.

واعتمدوا في ذلك على ما كان من صلات قائمة بين القبائل الليبية القديمة وسكان الجزيرة العربية، كما تعرضوا في بحوثهم للهجرات اليمانية نحو شمال إفريقيا.[1]

أما علم الدين الجندي فيرى أن«الظواهر اللهجية في عاميتنا ليست وليدة اليوم أو الأمس، بل هي عميقة عمق الجذور المتغلغلة في أعماق الأرض ومتصلة بالفصحى وبما أن التطور أصاب اللهجات، فحتما قد أصاب الفصحي»[2]

إنّ العلاقة بين اللهجات العربية الحديثة ولهجات القبائل في الجزيرة العربية قوية، إذ احتفظت هذه اللهجات الحديثة بمقدار لا بأس به من صفات لهجية قبلية قديمة. ويرى إبراهيم أنيس في كتابه"في اللهجات العربية" أنّ اللهجات الحديثة، وإن كانت قد تطوّرت في بيئات عربية مختلفة وصُبِغت بصبغٍ مَحلِّية في بعض الظواهر، إلا أنّها تتوفر على الكثير من السّمات التي عُرِفت عن القبائل العربية القديمة، فقد احتفظت هذه اللهجات الحديثة ببعض

[1] مختار العرباوي، ص 133.

[2] –علم الدين الجندي، ص 50.

الآثار القديمة التي يمكن إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة. وبعد بحث عميق ودقيق ودراسة مستفيضة، نلاحظ أنّ اللهجات الحديثة ما هي إلا امتداد عبر الزمن للقديمة.[1]

لقد قسّم المحدثون اللهجات العربية الحديثة إلى خمس مجموعات وبُني هذا التقسيم على أساس المناطق وهو كما يلي:[2]

1°) مجموعة اللهجات الحجازية وتَضُم الحجاز، نجد واليمن.

2°) مجموعة اللهجات السورية وتضم سوريا، لبنان، فلسطين وشرق الأردن.

3°) مجموعة اللهجات العراقية.

4°) مجموعة اللهجات المصرية وتضم مصر والسودان.

5°) مجموعة اللهجات المغاربية وتضم دول شمال إفريقيا.

تعتبر هذه اللهجات العربية الحديثة المصدر الأصيل المهتَدى به إلى معرفة ظواهر اللهجات العربية القديمة، كالإمالة وقلب القاف كافا، أو جيما

---

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس، ص 16

[2]– علم الدين الجندي، ص 130.

سامية، وقلب الكاف شينا... فالصلة إذن وثيقة بين قديم اللهجة وحديثها، فمعظم الألفاظ ذات أصل عربيّ فصيح لأن غالبية لهجات العوام مستمدة من الفصحى، فالعلاقة بينهما لا تختلف عن صلة الأصل بالفرع مع أن اللهجات العربية الحديثة يوجد بها الكثير من الألفاظ الدخيلة بسبب التداخل بين اللغات الأجنبية والاحتكاك مع غير العربي[1].

فاللهجة ناتجة عن حاجة الناس إلى التعبير عن أفكارهم بوضوح، وعن نزوحهم للاقتصاد في الكلام وفي الجهد تجنّبا للصعب والمعقد والمزخرف، وطلبا للسهل والبسيط.

احتفظت اللهجات العربية الحديثة بكثير من الخصائص اللغوية للغة العربية الفصحى بلهجاتها القديمة المختلفة[2]، وتتمثّل خاصة في الصفات الصوتية التي كانت تُميِّز بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية مثل

---

[1] -ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص37.

[2] -ينظر:علم الدين الجندي، ص 126.

ظاهرة تسهيل الهمز التي عرفت بها البيئة الحجازية (قريش وما جاورها)[1]، وظاهرة الإبدال بين الأصوات التي تتّحد في الصفات أو المخرج كإبدال القاف جيما سامية عند بني تميم وغيرها من الظواهر اللغوية التي تعد من الصفات المشتركة في لهجاتنا العربية فيما بينها وبين اللهجات العربية القديمة بنجد والحجاز.[2]

ولقد لاحظ المحدثون أنه كلما توسعوا في دراسة اللهجات العربية الحديثة كلما اكتشفوا بعض الظواهر اللغوية التي ترجع أصولها وجذورها إلى اللهجات العربية القديمة والتي اختفت من اللغة العربية الفصحى. كظاهرة « إثبات ضمير الجماعة –الدال على التثنية والجمع فيها– في الفعل مع وجود فاعله، مثنى كان أو جمعا، متقدما على الفعل أو متأخرا عنه. فالجزائري يقول: (جَاوْ لَوْلَادْ) في (جَاءَ الأَوْلَادْ) وكذَالِكَ (لَوْلَادْ جَاوْ) في (الأَوْلَاد جَاؤُا)، وكأنهم يجعلون فاعلين لفاعل واحد وهو أمر مستحيل. وواضح أن المثال الأول مخالف للقاعدة النحوية المعروفة في العربية

---

[1] -ينظر، عبد الغفار حامد هلال،ص 156.

[2] -ينظر: نفسه، ص283.

الفصيحة. فالصحيح أن يقال: جَاءَ الأَوْلاد بِإفرَاد الفعل كيفما كان عدد الفاعل. وهي اللهجة المعروفة عند النحّاة تحت مصطلح "لُغَة أكلوني البرَاغيث" اصطلاح ينطوي على شيء من السخرية والاستهجان. إنَّ هذه الظاهرة غير موجودة اليوم في الفصحى، ومن يجاريها فهو مخطئ ولا يعتد على فصاحته ولا بسلامة لسانه، على الرغم من أنها لهجة كانت فاشية كثيرا في كلام العرب الأوائل وأشعارهم حتى ذهب قوم من النُحَّاة إلى أنه لا يلزم تجريد الفعل من علامة التثنية والجمع إذا أُسند لواحد منهما.» [1]

تعتبر هذه الظاهرة اللهجية قديمة كانت موجودة عند القبائل القاطنة بالمنطقة الغربية الجنوبية للجزيرة العربية، وقد ظهرت كذلك عند بعض القبائل من شرق وشمال نفس الجزيرة؛ فنُسِبَتْ إلى قبيلة طيء ومعلوم أنَّ هذه القبيلة في بداية أمرهم كانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على أثر

[1] التجيني بن عيسى، مخطوط **مدخل إلى علم اللهجات المقارن** – دراسة مقارنة للأصوات لهجة تلمسان نموذجًا ، ص 41.

خروج الأزد عند تفرّقهم بسيل العرم، فنزلوا نجد والحجاز على القرب من بني أسد ثمّ غلبوا بني أسد على جبلي "أجأ وسلمى" من بلاد نجد.[1]

ذهب بعض الدارسين إلى القول أن بعض الظواهر اللهجية في اللهجات العربية الحديثة يرجع أصلها إلى اللهجات **القديمة لا إلى الفصحى** وهذا ما رآه رمضان عبد التواب حين قال: «البحث في اللهجات العربية الحديثة، يتبين منه أنها ترجع في الكثير من الحالات، إلى اللهجات العربية القديمة، أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى.»[2]

كما أنّ اللهجات العربية الحديثة تشترك في الكثير من الخصائص الصوتية مع اللهجات العربية القديمة، ولعل أهم ما جذب نظر الباحثين ظاهرة الإبدال في الأصوات، التي تعد ظاهرة قديمة درسها الكثير من اللغويين العرب، قال السيوطي: « قال ابن فارس في فقه اللغة "من سنن

---

[1]- ينظر: علم الدين الجندي، ج1 ،ص 41.

[2].رمضان عبد التواب، **فصول في فقه اللغة**، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الثالثة- 1987م =1416 هـ ، ص73.

العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض، مدحه، وهدمه، ورِفْلٌ، ورِفنٌ، هو كثيرٌ مشهورٌ قد ألّف فيه العلماء".»[1]

ويُعرّف أحد المحدثين الإبدال بقوله «جعل حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة وينظر إليه اللغويون على أنّه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى.»[2]

وهناك من أشار إلى مسألة الإبدال ضمن تناولهم لقضايا اللغة العربية، ولهم فيه رأي آخر يَرُدُّون في ضوئه أكثر صور الإبدال إلى ضرب من التطور الصوتي، كما يدخل أحيانا في اختلاف اللهجات، ويجعلون السبب في كثير من صور الإبدال إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة.

ومن هؤلاء نذكر إبراهيم السّامرائي، فهو يرى أن «العربية قد اشتملت على لغات عدّة هي لغات القبائل المختلفة، وطبيعي أن يحصل

---

[1]- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل،بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص276/2.

[2]-عبد الغفار حامد هلال – ص 120.

الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيرا مما حمّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات»[1].

ويرى إبراهيم أنيس أنه «حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لاشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز صوتا من أصواتها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية أي بين الصوتين المبدل والمبدل منه.»[2]

إن البحث في ظواهر الإبدال يكشف لنا في بعض الأحيان إلى تفرع اللغات الإنسانية من أصل واحد.[3] يتضح لنا من هذا التعريف أنه لمعرفة أصل بعض اللهجات العربية الحديثة يجب دراسة بعض ظواهر الإبدال

---

1 إبراهيم السامرائي،التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط2،1981،ص115.

2 إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي، ط2، د.ت، ص58.

3 -ينظر: عبد الغفار حامد هلال، ص88.

المشتركة مع اللهجات العربية القديمة. ولهذا السبب كان لابد من دراسة بعض ظواهر الإبدال في اللهجات الجزائرية .

3- بعض ظواهر الإبدال في اللهجات الجزائرية:

أ. إبدال حروف العلّة بالهمزة:

إنّ الدارس للّهجات العربية القديمة يلاحظ أنّ صوت الهمزة في نطق بعض القبائل العربية يُخفّف بالرغم من شيوعها في اللغة العربية، وأحيانا أخرى بالإبدال والنقل والحذف، « فكُتِبَت ألفًا طورًا وطورًا واوًا أو ياءً، وهناك الهمزة المحققة. أمّا أثناء العصور الإسلامية فقد مالت اللّهَجات العربية إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة، لما تتطلبه من جهد عضلي. »[1].

وما لاحظه عبد الغفار حامد هلال أنّه كانت عملية تأثير وتأثّر بين القبائل العربية القديمة في نطق الهمزة وتسهيلها، ويمكن أن نجد أمثلة قد سُهِّلت فيها الهمزة في بيئة نجد والعكس في بيئة الحجاز. فقد قرأ أهل الكوفة

1- ينظر: إبراهيم أنيس **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط3،1971، ص 91.

قول الحق سبحانه: ﴿ *وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا* ﴾ والتخفيف (وَمَنْ يُوتَ)[1].

يميل سكان الجزائر إلى تخفيف الهمزة وهذه الظاهرة الصوتية موروثة من اللهجات العربية القديمة، فمثلاً كلمة الإمام تبدل لتصير (لِمَامْ)، و(بير) في بئر، و(طبايع) في طبائع، و(ضايع) في ضائع، و(وْدَنْ) في أُذُن و(وِيَاكْ) في إيَّاكْ و(وخر) في أخرى ...وغيرها. وهذه الظاهرة منتشرة في جميع اللهجات العربية الحديثة.

ب. إبدال القاف همزة:

لقد عرفت بعض القبائل العربيّة القديمة بالجزيرة في نطقها القاف همزة لقول أبي طالب اللغوي: « وقد أُبْدِلَتْ الهمزة من القاف في قولهم: الأفزُ وهو الوثبة بالعجلة وفي القفز: وهو الوثب.[2]»

---

[1] –عبد الغفار حامد هلال، ص 222.

[2] – طالبي مولاي عبد الحفيظ" الإبدال في اللغة العربية مظاهره و عوامله و أثره في تنمية اللغة و تفسيرها" – مخطوط رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة حلب، 1990، ص 170، 171.

وتعدُّ هذه الظاهرة الصوتية منتشرة بكثرة في لهجة تلمسان مثل (آلْ) بدلاً من قَالَ (أقطان) بدلاً من قفطان، أو (ألْبْ) بدلاً من قَلْبْ، و(أُبَّة) بدلاً من قُبَّة.

ج. إبدال القاف إلى جيم سامية:

يعتبر إبدال القاف إلى جيم سامية من الخصائص الصوتية للهجات العربية القديمة كلهجة بني تميم الذين كانوا يلحقون القاف باللهاة. قال ابن دريد (ت 321 هـ) « فأمَّا بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيقولون الكَوْم يريدون القَوْم فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه اللغة معروفة لبني تميم.» قال الشاعر:

ولا أكول لكَدر الكَوم كَدْ نضجَتْ * ولا أكَولُ لباب الدار مَكْـفُولُ [1]

والملاحظ أنَّ هذه الظاهرة النطقية منتشرة في كثير من المناطق الجزائرية – نطق القاف جيما سامية – وهذا ما لاحظه بعض المحدثون وعلَّلوا ذلك بأنَّهَا ظاهرة موروثة عن الأسلاف عرفها سُكَّان المشرق

[1] – ابن دريد – " جمهرة اللغة" – دار صادر – بيروت –، د.ط، د ت، ص1–5.

والمغرب والأندلس قبل هذا الزمان، وقد قال ابن خلدون في هذا المقام : « القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في الكتب العربيَّة أنَّهُ من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وما ينطقون بها أيضًا من مخرج الكاف وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي بل، يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال مختصًا بهم لا يشاركهم بها غيرهم، وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنَّهَا لغة مضر الأوَّلين[1]».

وتعدُّ هذه الظاهرة سمة مشتركة بين معظم اللهجات العربيّة الحديثة، خاصّة عند البَدْو وبعض المناطق في فلسطين كقطاع غَزَّة والأردن.[2]

---

[1]- ابن خلدون - " المقدمة، 357،358.

[2]- ينظر: أحمد عبد الرحمن حمّاد، **الخصائص الصوتيّة في لهجة الإمارات العربية**- دار المعرفة الجامعية -الإسكندرية- الطبعة الأولى - د.ت- ص 17.

د) الإبدال بين الضاد و الطاء و الدال:

إن إبدال الضاد طاءً، وتارة دالاً، ظاهرة صوتية قديمة كانت موجودة في بيئات عربية قديمة وما زالت موجودة إلى يومنا هذا في اللهجات العربية الحديثة. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: « والذي نستطيع تأكيده هنا، هو أن الضّاد القديمة قد أصابها بعض التطوّر حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر وأنّ هذا التطوّر كان قديمًا في عهد ابن الجزري أي القرن 18م = 12هـ. ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى نوعٍ من الظَّاء، كما يشبه إلى حدٍّ كبير ذلك الوصف الذي رُوي لنا عن الضّاد القديمة»[1].

وتعدّ هذه الظاهرة غير غريبة عن اللغة العربية الفصحى، فقد ورد في كلام العرب بعض الكلمات بالضّاد والطاء على نحو ما رواه الأزهري، (والعامة تقول : اظّرَحُوه، يظنّونه من الطَّرْحِ، وإنَّمَا هُوَ من الضَّرْحِ)،

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية – ص 49.

وجائز أن يكون اطّرَحوه افتعالاً من الطَّرح، قلبت التاء طاء ثمَّ أدغمت الضاد فيها فقيل اطَّرَحَ[1]. كما اتفق عبد العزيز مطر مع إبراهيم أنيس على هذه الظاهرة الصوتية حين قال: « فالضّاد العربية العسيرة النطق قد تطورت في بيئة {صقلية} إمّا إلى :

1 الضاد وهو الأكثر والأشهر.

2 الطاء ولعلّهَا كانت تشبه الضاد الحديثة، حين يقولون: ربط عوض ربض

3 الدال في قولهم: غَرْدُوف بدل غُرْضوف أو غُضْرُوف »[2].

وقد أخذت اللهجات العربية الجزائرية الكثير من هذه الخصائص الصوتية الموروثة من اللهجات العربية القديمة، مثل ما تقول النساء في مدينة تلمسان حين يتكلمن عن شبراير "الضَّحَّاك" فينطقن صوت الضاد طاء إذ يلفظنها "شبراير الطَحّاك"،وهذه العبارة تطلق على فترة من فصل أفريل حين تقترن أشعة الشمس بسقوط الأمطار وهذه ظاهرة جوية طبيعية .

---

[1]– إبن منظور"– مادة ضَرَحَ، ص 31.

[2] رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،ط2، 2000، ص 278.

ومن الأمثلة التي تظهر إبدال الضاد إلى دالا: كلمة الأرض التي صارت في اللهجة (لَرْدْ) وكذلك ضرب (دْرَبْ).

وأما إبدال الضاد ظاء فهناك الكثير منها في لهجاتنا الجزائرية مثل (حامظ) في حامض، (ظب) في ضب وهو حيوان من الزواحف.

هـ) الإبدال بين الطاء والتاء:

يقول ابن السكيت « هذا النوع من النطق عرف في القديم فيقال: رجلٌ طبن ورجلٌ تبن، بمعنى الرجل الفطن الحاذق»[1]. كما قال أبو عبيدة:« الطَّبانة والتَّبانة واحد، وهما شِدَّةُ الفطنة »، وقال اللحياني: « الطَّبَانة والطَّبَانِية والتبانة والتبانية واللّقانة واللّقانية واللّحانة واللّحانية ، معنى هذه الحروف واحد ورجل طَبِنٌ، تَبِنٌ، لَقِنٌ، لَحِنٌ »[2].

كما توجد هذه الظاهرة في اللهجات الجزائرية، مثلاً كلمة البطيخ تنطق (بتيخ)، والطاق (التاق).

---

[1] ابن السكيت: "كتاب الإبدال"– تحقيق د. حسين محمد الشرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع القاهرة،د.ط–1978– ص 129.

[2]– ابن منظور،مادة طَبَنٌ، ص 91.

و) الإبدال بين الذال والدال :

لقد نقلت لنا المصادر العربية هذه الظاهرة الصوتية، مثل : قوله ***صلّى الله عليه وسلّم*** لبلال رضي الله عنه: « إني سمعتُ دفّ نعليك في الجنّة.» أي صوتَهما عند الوطء عليهما ويُروى بالدال والذاَال[1]

يُلاحظ في الكثير من الكلمات في اللهجات الجزائرية هذه الظاهرة الصوتية أي إبدال صوت الذال بآخر يقاربه وهو الدال مثل بذنجال الذي يصير في لهجاتنا بْدْنجَالْ، ذاب في دَابْ، ذبح في دْبَحْ، الذهب في دْهَبْ. وتعدُّ هذه الخاصية الصوتية شائعة في كثير من الدول العربية لقول حلمي خليل: « وينطق المصريون جميعًا، وكذلك الشعوب التي تتكلّم العربية حرف الثاء تاءً والذال دالاً والظاء ضادًا أو زَايًّا أحيانًا »[2].

ز) الإبدال بين الدال والتاء:

يقول الأزهري:« منهم (يعني من العرب) من يقلب بعض التاءات في الصدر دالاً نحو الدرياق لغة في الترياق والدخريص لغة في التُخريص

---

[1] – أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير "**النهاية في غريب الحديث و الأثر**" تحقيق الأستاذين : طاهر الزاوي و محمود الطناحي، مطبعة عيسى الحلبي، ط. 1،– 1963– ص162.

[2]– حلمي خليل، **المولود دراسة في نمو تطور اللغة العربية في العصر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأسكندرية، د.ط، د.ت، ص 25.

وهما معربان »[1] وكانت قبيلة بني أسد تبدل الدال تاءًا فكانوا يقولون التفتر في الدفتر[2].

وسبب هذا الإبدال يكمن في اتحاد المخرج بين الصوتين والخلاف بينهما في الجهر والهمس، فإذا جهرت التاء صارت دالاً وإذا همست الدال صارت تاءً.[3]

ويصرح ابن الجني أن خاصية إبدال الدال تاء هي من صفات الحضر، أمّا إبدال التاء دالاً فهي من خصائص القبائل البدوية، في مثل اجتمعوا تصبح اجدمعوا، وتولج تصبح دولج[4]. وتعدّ هذه الظاهرة من بين الظواهر التي جعلت القبائل تختلف في اللهجات قديما وكذلك حديثًا، ونرى في اللهجات الجزائرية قول بعض الناس لكلمة (دشيش) تشيش وأصلها

---

[1]- عبد الغفار حامد هلال، ص 229.

[2]- ينظر: نفسه .

[3] ينظر: نفسه، ص 231.

[4]-ينظر:نفسه.

جشيش ويقول الأزهري: « ليست بلغة ولكنها لُكنة، ورُوِي عن أبي الوالدين طخفة الغفاري: كان أبي من أصحاب الصُّفَّة وكان ***رسول الله صلى الله عليه وسلّم*** يأمر الرجل يأخذ بيد الرجلين حتّى بقيتُ خامس خمسة فقال:" يا عائشة أطعمينا"، فجاءت بدشيشةٍ فأكلنا ثمَّ جاءت بحَيْسَةٍ مثل القطا فأكلنا ثمّ جاءت بِعُسٍّ عظيمٍ فشربنا ثمَّ انطلقنا إلى المسجد.»[1] قال الأزهري: « فدلَّ هذا الحديث أن الدشيشة لغة في الجشيشة»[2]

والملاحظ من هذا القول أنّ كلمة الدشيش نُطِقَتْ بالجيم ثمَّ بصوت الدال وهو نوع من التطوّر اللغوي عن طريق الإبدال.

ح) <u>الإبدال بين السين والصاد:</u>

لاحظ اللغويون أنّ البيئة الحضرية تعطي كل صوت حقَّهُ، وتنطقه بصفاته فقد كانت قبيلة قريش تنطق "اهدنا السراط" والصراط و"كأنما يساقون" ويصاقون، "مسّ سقر" وصقر[3]، فهم ينطقون السين سِنًا وصادا، أمّا

---

[1]- ابن منظور- مادة دشش – ص 259.

2 نفسه.

[3] - ابن جني - سر صناعة الإعراب/1 مخطوط مكتبة الأزهر المصرية ، دار الكتاب،-د ط ،1954، ص116- 220.

البيئة البدوية فهي تميل إلى إبدال السين صادًا وهذا إذا وقعت بعدها أحد الصوات الآتية: القاف – الغين – الخاء، أي من أصوات الإطباق وإلى ذلك يشير سيبويه فيقول: « لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينًا»[1] وهذه الصفة الصوتية قديمة في اللهجات العربية القديمة إذ نُسِبَت إلى قوم من تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صَادًا عند أربعة أصوات: الطاء والقاف والغين والخاء، إذا كانت بعد السين وقال الفراء: « ونفرٌ من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثمّ جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء أو صاد فمن ذلك قولهم الصراط والسراط» [2]

وفي بعض المناطق مثل مدينة تلمسان يميل سكّانها إلى ترقيق بعض الأصوات فينطقون الصاد سينًا مثل قولهم في كلمة الصهريج (السهريج)، رخيص (رْخِيسْ) ...وغيرها.

إن هذه الظاهرة الصوتية التي وجدت في اللهجات العربية القديمة امتدت وبقيت آثارها ملحوظة في اللهجات العربية الحديثة.

---

[1] - سيبويه، **الكتاب/2** -تحقيق أ عبد السلام هارون ،طبعة دار القلم- د.ط، 1916/1917– ص 406.

[2] - ينظر:عبد الغفار حامد هلال، ص 269.

ط) الإبدال بين اللام والنون

اتفق اللغويون القدماء والمحدثون على أنّ اللام والنون تتّفقان في جميع الصفات وأنّ العلاقة بينهما قويّة تسوغ التبادل فهما مُتّحدان مخرجًا وصفةً، ويتّضح أنّ اللام من خصائص الحضر وقد نسبت لكثير من اللهجات كأهل الحجاز وتميم وقيس وكثيرا من أهل نجد وتعدّ النون من خصائص أهل البدو لميلهم إلى غموض الأصوات ونسبت إلى بني أسد [1] ومن ذلك الدمان والدمال – بالفتح وتخفيف الميم – وهو فساد التمر قبل إدراكه حتى يَسْوَدّ– [2]

ولقد عرفت اللهجات العربية القديمة هذه الخاصية الصوتية، ومن الأمثلة على ذلك مايلي: ركن وركل (أنف الجبل)،– لعن و لعل – بن و بل – هتنت السماء وهَتَلَتْ.[3]

[1] -ينظر: السابق، ص287.

[2] -ينظر: نفسه ، ص 284.

[3] ينظر:نفسه، ص 285.

كما احتفظت بعض اللهجات العربية الحديثة على هذه الظاهرة الصوتية من إبدال اللام والنون. ففي اللهجة الجزائرية مثلاً يُقال الفنجال بدلا من(الفنجان)، و بدنجال في(البذنجان)، و سِلِيمَهْ في (السينما).

ي) الإبدال بين الأصوات الصامتة واللينة:

قال ابن الجني الإبدال بين الألف والهاء حين تكون الألف هي الأصل[1] وقد روي عن القدماء هذا النوع من الإبدال فقالوا في (هنا) الإشارة (هنه) وفي ما (مه) اسم فعل بِمَعْنَى أكفف. وهذا الإبدال موافق للهجاتنا العربية وهو منسوب لقيس وتميم [2]، فمن ذلك قول العامّة: صاريج بدلاً من صَهْرِيج، قال شهاب الدين الخفاجي « بركة معمولة بالصّاروج وهو شيء يخلط بالنورة ويطلي به الحياض ونحوها هو معرَّب وتسمَّى بركة الماء صهريجًا لذلك.»[3]

إن الغاية من الإبدال الصوتي عند القدماء والمحدثين هو تحقيق أكبر قدر من السهولة في النطق واقتصاد الجهد العضلي والإنسان يَنزع بطبعه

[1])ينظر، ابن جني، ص، 105،107.

[2] ينظر،-عبد الغفار حامد هلال، ص 178.

[3] -شهاب الدين الخفاجي، **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** – تحقيق عبد المنعم خفاجي – دار الطباعة المنيرية – القاهرة،د.ط، 1952، ص 170.

إلى تَلَمُّس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى الجهد العضلي، فَيُبَدِّل مَعَ الأيام الأصوات الصعبة في لغته بنظائرها السهلة.[1]

إن الأصوات اللغوية تتعرّض أحياناً إلى ما يسمّى بالمخالفة، وهي أنّ الكلمة قد تحتوي على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوتٍ آخر لتتمّ المخالفة بينهما، ولقد بيّنت البحوث العلمية الجديدة لعلماء الأصوات أنّ ظاهرة المخالفة قد شاعت في الكثير من اللغات السامية، وليست هذه الظاهرة إلاّ تطورًا تاريخيًا في الأصوات.[2]

ومن أمثلة المخالفة قولهم في الإجَّاص (لَنْجَاصْ) وهي كلمة معربة، ولقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف لكونه يحتاج إلى مجهود عضلي، إذ قال الجواليقي في هذا السياق « فأمَّا أمثلة العرب فأحسنها ما بني من الحروف المتباعدة المخرج»[3] ولتسهيل المجهود العضلي يُقلب أحد الصوتين إلى أحد الأصوات التي لا تحتاج مجهودًا كبيرًا.

---

[1] ـ ينظر: إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية** ، ص 212.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص 211

[3] ـ أبو منصور الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة الكتب، دار الكتب ـ الطبعة الثانية، 1969، ص 60.

إنّ ظاهرة التخلص من الهمزة، إمّا بالحذف وإمّا بالنقل المكاني وإمّا بالتخفيف تعدُّ صفة من الصفات الصوتية التي ميَّزَت بعض اللهجات العربية القديمة بالجزيرة العربية، والذي لاحظه المحدثون أنّ اللهجة الجزائرية تميل إلى التخلص من الهمزة بنفس الطريقة التي كانت عليها اللهجات العربية القديمة.

كما أنَّهُ يحدث الكثير من التأثيرات الصوتية أثناء الحديث كالتفخيم والترقيق، وذلك لتجاور الأصوات ونجدها في الكثير من اللهجات العربية الحديثة ولا تسير على قاعدة ثابتة.[1]

لاحظ بعض الدارسين أن اللهجات الجزائرية احتفظت ببعض الظواهر الصوتية المترسبة من اللغات السامية مثل قول بعض العامة في تَجَسُّسْ (تَقَّـسُّسْ) أو في الجبس (القِبسْ)، ويعدُّ صوت الجيم السامية من سمات اللهجات السامية وخصائصها، ولقد وضّحها إبراهيم أنيس حين قال: « الجيم القاهرية التي نسمعها أيضًا في اللغة العبرية والسريانية، فهو صوتٌ شائعٌ

[1] - ينظر: عبد الرحمن حمّاد ، ص 18.

في معظم اللهجات السامية[1]»، وممّا سجّله العلماء أنّ الكلمات في اللهجات العامية ذات الأصل السامي لا تختلف في نطقها عند مقارنتها في النطق عند العرب القدماء وذلك بعد إخضاع الكلمتين إلى دراسة لكل صوت من الأصوات، وهذا ما صرّحَ به *رفائيل نخلة اليسوعي* حين قال إنّ كلمة التنور (تَنُورْ) ومعناها في الأصل مكان النَّار،[2] وعرّفها عبد *المنعم سيد عبد العال* بأنّها مفجر الماء[3] وهي من أصل أرامي ومعناها عند العوامّ البناء الذي يحيط بالبئر، أو الفرن المصنوع من الطين لطهي الخبز في الأرياف.

إنّ التغييرات الصوتية التي حدثت في الكلمات على ألسنة العوامّ يرجع سببها إلى التطوّر التاريخي واللغوي للعربية الفصحى بلهجاتها القديمة. ففي اللهجات العامية الجزائرية، يلجأ العوامّ إلى تسكين أواخر الكلمات وأحيانا إلى حذف المقطع الأخير نحو قولهم في خُذْ (خُو)، كما يلجئون إلى حذف بعض الأصوات الأخيرة كنون الأفعال الخمسة والتنوين

---

[1] - إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص 85.

[2] - ينظر رفائيل نخلة اليسوعي، **غرائب اللغة العربية**، بيروت، د ط، 1960، ص 175.

[3] - ينظر:عبد المنعم سيد عبد العال، **معجم شمال المغرب" تطوان و ما حولها**، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر – القاهرة ،د.ط.د.ت، 1968، ص 45.

والهمزة والهاء والمتطرفتَيْن، وهذه الظاهرة ليست مقتصرة على الدارجة الجزائرية، بل هي منتشرة وشائعة في جميع اللهجات العربية الحديثة في البلاد العربية.[1]

وبناءً على ما بيَّناه من ظواهر صوتية مشتركة بين اللهجات العربية القديمة واللهجات العربية الحديثة الجزائرية يستنتج أنّ هذه الأخيرة، ما هي إلاّ امتداد لِلّهجات العربية القديمة في ثوب جديد.

4- نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات العربية

1.4-تمهيد

لقد ظهرت أراء مختلفة عن نشأة اللهجات العربية المغربية عامة والجزائرية خاصة، فمنهم من درس هذا الواقع اللهجي من الناحية التاريخية، معتمدين في دراستهم على هجرات قبائل عربية قديمة في فترات متعاقبة[2]، وحسبهم هذه الهجرات هي التي أدّت إلى تكون اللغة العربية بلهجاتها المختلفة

[1] ينظر: علي عبد الواحد وافي، **اللغة و المجتمع**، دار النهضة المصرية للطبع و النشر، القاهرة،د.ط، د ت ، ص 76.

[2] ينظر:محمد مختار العرباوي، ص 133.

في وقت مبكر وبكيفية تدريجية في شمال إفريقيا، ومن هؤولاء ***محمد مختار العرباوي، وأحمد سوسة وعثمان سعدي....وغيرهم.*** ومنهم من رأى أن اللهجات العربية المغربية عامة، ظهرت بعد الفتح الإسلامي، وكان أول من قال هذا الرأي ***ابن خلدون.*** كما اعتمد على رأيه جلّ المستشرقين عند دراستهم للهجات العربية المغربية.

2.4-نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر مختار العرباوي:

يتبيّن لدارسي اللغة البربرية-وهي لغة السكان الأصليين لشمال إفريقيا- أنّ هذه اللغة يطغى عليها طابع اللغات السامية، وأنّ صلتها بأخواتها الساميات أقوى وأمتن، وقد وضّح ذلك عالم اللغات البربرية والساميات "هنس سطوم Hans Stumme" في قوله: « من وجهة نظري أنّ البربرية أقرب إلى السامية بكثير»[1]، كما أكد روسلر Rossler هذا الرأي إذ قال: « إنّ اللغة اللوبية سامية

[1]) ينظر:

"Der semitisch Charakter der libyschen sprach in L A, 50, Leipzig" – 1952 – p 124

نقلا عن:محمد مختار العرباوي، ص84.

في واقعها ولا يمكن ولا يجوز فصلها عن السامية»[1] وفي قوله كذلك : « اللوبية ذات علاقة متينة مباشرة بالسامية».[2]

أمّا الأوروبيون وعلى رأسهم سبرنجر Springer الذي أكّد بإلحاح:

« أنّ جميع الأقوام التي تُنسب إلى العرق السامي كالآشوريين والبابليين والفينيقيين والعبرانيين والأروميين وغيرهم من الأقوام التي كانت تضطرّ إلى النزوح والهجرة من الجزيرة العربية هم عرب.»[3]

إن أهالي الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب هم الأوّلون الذين عَرفوا التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العصر الحجري الحديث. وقد نتجت عن ذلك تطوّرات لغوية وثقافية هامّة، إذ عرفت المنطقة نضجا لغويا من حيث الخضوع للضوابط وظهور الأديان السماوية في هذه المنطقة ممّا جعلها تلعب دورا هاما في التاريخ الثقافي للمنطقة وما جاورها.[4]

---

[1] السابق، ص 84.

[2] نفسه،ص 84.

[3] سوسة أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة – بغداد، د. ط، 1983 م= 1413هـ، ص 234.

[4] ينظر :محمد مختار العرباوي، ص 93.

لقد صنف العلماء البربر ضمن المجموعتين الحامية والسامية معتمدين على ما يوجد من مشابهات لغوية تَمَّ الوصول إليها بفضل علم اللغة المقارن، وعلى هذا الأساس يمكن الفهم بسهولة أن للبربر هجرات. وهناك من الباحثين، من يرى أن الحاميّين من أصل آسيوي من الجزيرة العربية مثل س. مانهوف S Manhof الألماني الذي يقول :« ثم تظهر الشعوب من العرق الحامي الوارد من الجزيرة العربية مرورًا بإفريقيا الشمالية وهي تتكلّم لغات أعرابية وتتعاطى إلى تربية المواشي».[1]

لقد ساهم دارسو اللغات السامية–الحامية مساهمة كبيرة في هذا المجال. كما ساعدت العلوم الأثرية واللغوية والدراسات المتعلقة بالأجناس البشرية إلى التوصل لنتائج مهمة؛ إذ كشف علم ما قبل التاريخ أنّ أقدم الصِّلات الحضارية والبشرية بين منطقتي المشرق العربي والمغرب العربي ترجع إلى العصر الحجري الأوسط المسمّى كذلك بعصر الحجارة المطرقة[2].

كما بيَّنَ الباحث شوينفرت أن الجزيرة العربية كانت مركز إشعاع ثقافي

[1] السابق، ص 97 .

[2] ينظر: نفسه، ص 102

للكثير من المناطق، فالحضارة ظهرت في العهود القديمة في بلاد العرب ثمّ انتشرت على شكل مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين ومصر[1].

انطلقت عدّة هجرات من الجزيرة العربية في فترة ما قبل التاريخ التي قدّرها العلماء بملايين القرون، متجهةً نحو الهلال الخصيب أي إلى العراق وسوريا وفلسطين، فالمجموعة التي استقرت في العراق ما بين الألف الخامسة والرابعة قبل الميلاد يطلق عليهم اسم الساميون الغربيون؛ منهم "الأموريون" الذين نزلوا إلى وادي الرافدين، ومنهم الفينيقيون في سورية وفلسطين[2].

لاحظ الباحثون أن الجزيرة العربية كان لها الفضل في التطورات الثقافية والاقتصادية لعدّة مناطق، كما أنّها أثّرت في إفريقيا الشرقية بحيث ظهر الرعي في هذه المنطقة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وتعد ظاهرة

[1] ينظر: محمد مختار العرباوي ، ص 130.

[2] ينظر: نفسه، ص136.

الرعي إحدى نتائج هذا التأثير، دون أن ننسى التأثير اللغوي الذي اصطحبه هؤلاء الرعاة معهم، واختلاط تلك الجماعات بالسكان المحليّين.[1]

فبحلول الحضارة الرعوية في المنطقة، لمع اسم "الشاوية"، كتعبير أصيل عن هذه الحضارة منذ أطوارها الأولى، وكدليل لغوي وثقافي على انتمائها الشرقي الأصيل[2]. فهذا الاسم لا يعني قبيلة معينة كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنّما هو مصطلح يطلق عامّة على من يرعى الماشية ويختصّ بتربيتها، وهذا الاسم منتشر في المشرق العربي منذ عهود قديمة، وما يزال موجودًا إلى الآن بصحراء الشام وجهات في العراق، وكذلك الحال في منطقة المغرب العربي، إذ ما تزال جماعات عريضة تحمل هذا الاسم في غرب وشرق المغرب الأقصى وفي شرق الجزائر يطلق عليهم "الشاوية "[3]. فهو اسم من إرث حضاري قديم توارثه الأحفاد عن الأجداد الأوائل والذي ساعد على الاحتفاظ به في المشرق والمغرب العربِيَيْن الممارسة المتواصلة لمهنة

[1] ينظر: السابق، ص122.

[2] ينظر: نفسه، ص159.

[3] ينظر: نفسه، ص160.

الرعي. ولا يغيب عن البال أنّ اسم "الشاوية" عريق في الجماعات البربرية فهو اسم عربي الأصل صياغة ومدلولا منحدرا من اللغة العربية القديمة.[1]

ويستنتج ممّا سبق أن الرعاة الأوائل هم، في الحقيقة، الجماعات البربرية الأولى التي أُطلق عليها اسم (اللوبيين) ولقد أدرك هذا موري(MAURI) إذ قال: إن التحوّلات المناخية في فترة ما بين ثلاثة آلاف إلى عشرة آلاف السنين الماضية حوّلت مساحات عريضة رطبة من الجزيرة العربية إلى مناطق جافة وقفراء، ممّا جعل السكّان يغادرونها، وكانت هذه الجماعات إمّا تتّجه شرقًا نحو مصر وإمّا شمالاً اتجاه أقطار المغرب العربي الثلاثة، فهذه الجماعات الرعوية انتشرت في شمال إفريقيا من قبل أن يظهر الفينيقيون وذلك بمدّة طويلة[2]. فكان للبربر هجرات من الشرق، قدمت على مراحل وهو ما يجعل البربرية جزءً من ذلك الواقع اللغوي الشرقي أي

---

[1] ينظر: السابق، ص 160.

[2]- *Fabrizio Mori - "Prehistoric Saharain Art Cultures in the light of discovries the* Acacus Massif (Libyan Sahara)8

-نقلا عن: محمد المختار العرباوي ص31.

العربية القديمة، وهي في تقديرهم، أقدم مجموعة لغوية عُرفت إلى الآن والبربرية جزءً منها.[1]

إضافةً إلى ما تقدّم، هناك من يربط بعض القبائل البربرية إلى الأصل العربي، فمثلاً قبيلتا *كتامة وصنهاجة* اللتان هما من فرع البرانيس، قد عدّهم نسابة العرب من عرب اليمن، من حمير. بهذا قال كلٌّ من ابن الكلبي والطبري والمسعودي، وعبد العزيز الجرجاني والبلّي.[2]

أمّا قبيلة زناتة، وهي من فرع البتر، فقد عدّها نسابة البربر من السلالة المضرية لا من البربر، فحسب رأيهم زناتة ذات أصل عربي عدناني، وإن كان هناك من يقول أنّها من لخم ولخم قبيلة يمنية من كهلان.[3] كما أننا نجد بعض نسابة زناتة أنفسهم ينسبون قبيلتهم إلى حمير والتتابعة أو

---

[1] -ينظر: السابق، ص 163.

[2]-ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 12.

[3]-ينظر: ابن عبد البر عمر يوسف القرطبي،القصد و الأمم في التعريف بأصول و أنساب العرب و العجم، مكتبة القدس- القاهرة،د ط، 1350 هـ ، ص 25.

إلى العمالقة. ولقد لاحظ بعض الدارسين أن الحياة الاجتماعية لهذه القبيلة شبيهة بالقبائل العربية. [1]

كما أن هناك قبائل أخرى تنتسب إلى الأصل العربي الحميري، وهي كالتالي : زواوه عدّها نسابة البربر من فرع البتر من بطون ضريسة[2] كذلك مكلاته، إذ كان يقول المطماطي النسابة البربري « إنّ مكلاته ليس من البربر وأنه من حمير»[3].

أمّا بنو غمارة، فهم بطن من بطون مصمودة من فرع البرانيس. وتقول العامّة منهم : « إنهم عرب غَمرُوا في تلك الجبال فسمّوا غمارة.»[4]

كما ذكر ابن خلدون موقف نسّابي البربر فقال : «وأمّا نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب، مثل غماره أيضًا وزواوه،

---

[1] -ينظر: ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 7 ، مؤسسة جمال للطبع و النشر- بيروت، د.ط، 1979-1400هـ، ص 6.

[2] -ينظر نفسه، ج 6 ، ص 261.

[3] -نفسه، ص 180

[4] – ابن خلدون، **كتاب العبر ج6**، ص 436.

ومكلاته، يزعم في هؤلاء كلهم، نسابتهم أنهم من حمير».[1]

ولغمارة ما يبرره من الناحية اللغوية، إذ يمكن القول أنهم غمروا في الجبال أي كثروا بها، وغمروا الجبال أي انتشروا فوقها وغطّوها[2].

وهناك بعض القبائل التي تنسب نفسها إلى الأصل العربي استنادًا إلى ما يوجد من اعتقاد لدى أفراد القبيلة، مثل قبيلة هوّارة التي هي فرع من البرانيس. فحسب النسابين العرب والبربر؛ أفراد هذه القبيلة ينسبون أنفسهم إلى عرب اليمن، وأنهم يجهلون نسبهم لقدم عهدها إذ ذكر اليعقوبي «هوّارة يزعمون أنهم من البربر القديم»[3]، وأيضًا « تزعم هوّارة أنهم قوم من اليمن جهلوا أنسابهم.»[4] وفي مقام آخر ذكر اليعقوبي أن أفراد قبيلة هوّارة يَتناسَبُون كما تتناسب العرب في قوله: « بطون هوّارة يتناسبون كما تتناسب العرب، منهم بنو اللهان ومليله ورسطفه ، فبطون اللهان، بنو درسا وبنو

1- السابق، ص 192.

2 -ينظر: محمد المختار العرباوي، ص 285.

3 أحمد بن واضح اليعقوبي، **كتاب البلدان** ،السلسلة الجغرافية،دار إحياء التراث العربي، ط1، 1998، ص 99.

4- نفسه.

مرمزيان وبنو رفلة وبنو مسراته»[1]، ويستنتج من هذا، أنّ هذا الانتساب شيءٌ موروثٌ ومتأصلٌ في نظامهم الاجتماعي كما هو الحال عند العرب.

ويربط القرطبي البربر بين هوّارة وعاملة فيقول: « وهوّاره أنهم من عاملة وأنهم انتقلوا من الشام»[2]؛ وبنو عاملة حسب النسابين هم إخوة جذام ولخم وكلهم من بطون كهلان القحطانية كانت مواطنهم بالشام، ويقول ابن خلدون فيهم: « وهم بطن متسع ومواطنهم برية الشام».[3]

لقد ذكر ابن خلدون «أن مواطن أغلبية هوّارة في بداية الفتح كانت ما بين طرابلس وبرقة؛ ثمّ فارق بعضهم هذا الموطن في فترة لاحقة، متوغلة في الصحراء تجاه المغرب»[4]. والذي جَاءَ في كتب التاريخ عامّة، أنّ الفاتحين الأوائل لشمال إفريقيا كان بعضهم من القبائل اليمنية؛ فاندمجوا وتحالفوا بكل سهولة مع أفراد قبيلة هوّارة القاطنين آنذاك ما بين طرابلس

1- السابق، ص99.

2- القرطبي، ص 25.

3 - ابن خلدون، كتاب العبر، ج 6، ص 285.

4 - نفسه، ص 286.

وبرقة لِما كان بينهم من تشابه، فنجم عن هذا التحالف والاندماج سهولة تَعَرُّب المنطقة.

وفي الختام نذكر ما قاله الإدريسي عن هوّارة إذ اعتبرها من القبائل العربية المتبربرة فقال: « وهوّارة أيضًا أخ لصنهاج ولمط من أم وأبو المسدّر بن المتنبى بن كلاع بن أيمن بن سعيد بن حمير، وإنما لقّب له هوّارة لكلمة تَقَوَّلَها؛ فتَسمَّى بها هوّارة وذلك أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر؛ فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم، حتى صاروا جنسًا واحِدًا».[1]

لقد وصلتنا أول إشارة عن قبيلة لواته، عن طريق المؤرخ البيزنطي "بروكبس القيصري" من خلال كتابه "العمائر والحروب الوندالية" ورأى بروكبس بأنَّ « المور ولواته اسمان لمجموعة سكانية واحدة؛ كانت منتشرة في كل المنطقة الممتدة من طرابلس حتّى تبسة بالجزائر. وقد ذكر المور على أنها لواته في العديد من كتاباته. فنجده يشير إلى المور الذي دعاهم في

[1] -مختار العرباوي، ص 288.

نفس الوقت لواته عند حديثه عن تغلّب هؤلاء على الوندال، واحتلالهم لمدينة لبدة، ونراه يتكلّم عنهم عند حديثه عن المذبحة التي نفّذها البيزنطيون في مدينة لبدة ضد ثمانين شيخًا من أعيان لواته، ثمّ ها هو يرجع إلى المور على أنهم لواته عند حديثه عن الحروب التي شنّها الليبيون ضد حاكم إفريقيا البيزنطي سليمان، ونجده يتحدث كذلك عن المور ولواته في طرابلس، والمور ولواته في بيزاكيوم (سوسة بتونس) والمور ولواتة بتبسة (الجزائر)».[1]

ولهذا السبب كان من المحتوم علينا البحثُ عن أصل "المور". ففي بعض المصادر التاريخية نجد أن هذا الاسم كان يطلق على مجموعة من القبائل في المغرب الأقصى، ولكن لم نجد الكثير من المعلومات عنها لفقداننا المصادر الأساسية التي حملتها المكتبة القرطاجية والتي أحرقتها الإمبراطورية الرومانية، ولكن رغم هذا فبعض المصادر الأثرية المحدودة

[1]-محاضرات لـمحمد علي عيسى أستاذ الآثار و الحضارات القديمة – "الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية و التاريخية القديمة" – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الفاتح www.histoire.com-

قد قدّمت لنا العون للبحث في هذا الباب. فمثلاً بعض الوثائق المسمارية تشير إلى أن القبائل العربية القديمة كانت تقطن ببلاد الشام الداخلية ومنها شمال سوريا وَرَدَ اسمها بالخط المسماري في صيغة قُرِئَت مرّة "أمورّو" ومرّة "عمورّو" فقد كُتِبت الصيغة هكذا "Amurru - A-mur-ru" وعندما قُرئت بالعربية الحديثة نطق الصوت الأول (A) مرّة همزة ومرّة أخرى عينًا فقيل "أمورو وعمورّو"، وهو نطق لا يخلو من التضعيف لمسايرته للكتابة اللاتينية وللتخلص منه واقترابًا من النطق الأصلي؛ فقد أُعيد قراءتها بالعربية لكونها من الأصل اللغوي الذي تنتمي إليه هذه الكلمة فقيل أمور "عمور".[1]

أمّا في النقوش المصرية فكانت تسمّى "البقاع" بلبنان حاليًا "أمورّو" Amurru[2]، وكان البابليون القدامى يسمّون البحر المتوسط "بحر آمور العظيم" كما وردت هذه اللفظة في رسائل تل العمارنة المكتشفة في مصر بصيغة مات آموري[3]. ويذكر أحمد سوسة أن هذه القبائل كانت منتشرة في

---

[1] -ينظر: محمد المختار العرباوي، ص 238

[2] --ينظر: قليب حتى، **لبنان في التاريخ**، مؤسسة فرنكلين، د.ط، 1959، ص 81.

[3]-ينظر: سليمان توفيق، **أسطورة النظرية السامية** -ج1- دار دمشق، د.ط، 1982، ص 153.

المنطقة الممتدة من ساحل البحر المتوسط إلى الفرات منذ الألف الخامسة أو الرابعة قبل الميلاد.[1]

وتطلعنا المصادر التاريخية أنّ الأموريين هم الكنعانيين الشرقيين ولهجتهم لهجة كنعانية، أمّا الكنعانيون الغربيون فهم الفينيقيون أو الأوغارتيون ولا يوجد بين هؤولاء جميعًا إلاّ فروق لغوية طفيفة.[2]

فكون العموريين كنعانيّين جعل الباحثين يتوجّهون في أبحاثهم إلى معرفة أصلهم؛ فأجمع معظمهم أن أصلهم من الجزيرة العربية. إذ وجدوا في المنطقة الغربية للجزيرة حيث "عسير" المتاخمة للبحر الأحمر، هناك منطقة تحمل اسم مرومي اسم لثلاث قرى، اثنتان في وادي إضم والثالثة في منطقة قنا البحر.[3]

1-ينظر: أحمد سوسة، ص 17.

2-ينظر: محمد المختار العرياوي، ص 239.

3-ينظر: نفسه.

وهناك "المرْو" وهو اسم لقبيلة في جنوب الحجاز وهناك أيضًا "بنو مرّ" بالإضافة إلى قبيلة بني مرة المعروفة في القبائل العربية القحطانية والعدنانية.[1]

ويتبيّن لنا ممّا تقدم، أن "المور" الموجودين في بلاد المغرب والمعاصرين للقرطاجيين، هم في الحقيقة فرع من الأموريين كما يشهد بذلك اسمهم، وهذا ما يقوله بعض المؤرخين القدامى والمحدثين؛ أنّ قبائل هاجرت من الشام وفلسطين إلى بلاد المغرب على حسب قول دوماس وبروكوبس البيزنطيين.[2]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن المور الذين سمّاهم بروكوبس في كتاباته بلُواته ذووا صلة وثيقة وعميقة بالمشرق العربي. وللمؤرخين والنسابين العرب والبربر في قبيلة لواته آراء ومعلومات توصّلوا إليها، توثّق صلة قبيلة لواتة بالمشرق العربي، فقد عدّها ابن حزم من القبط فقال : « إنّ

1- ينظر: محمد المختار العرباوي، ص 239.

2- ينظر: مبارك الميلي، ص 82.

لواته من القبط»[1] غير أن ابن خلدون نفى ذلك واعتبرها من فرع البتر « إذ هي تنتسب إلى لوي الأصغر بن لوى الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر»[2]؛ وهي، بهذا الانتماء، تصير مثل قبيلة زناتة التي تنتمي إلى الفرع المضري العدناني. ويرى نسابة البربر أن قبيلة لواته **ليست** من البربر إذ يعدّون بعض شعوبهم من العرب، ومنهم لواته التي يقولون عنها إنها من حمير.[3]

وتقول لواته عن نفسها فيما ذكره الشريف أبو بركات: « ومن اللوّاتيّين من يقول فيهم : إنهم قيس ويعتبرون أنهم من ولد جابر بن غيض بن ريث بن غطفان وأن جابر جدّهم عم فراز»[4]. وفي هذا المقام يجب أن نذكّر ما قاله العباس بن مرداس السلمي[5] في شأنهم: « فقد حكى عن الوفد الذي أرسله عمرو بن العاص من لواته إلى عمر بن الخطاب بعد أن فتح

---

1 ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، د.ط 1962، ص45.

2- ابن خلدون - **"كتاب العبر"** – ج 6 – ص 235

3- ينظر:مختار العرباوي، ص 288.

4- نفسه.

5- هو صحابي شهد غزوة حنين و فتح مكة و كان من اللذين حرموا على أنفسهم شرب الخمر في الجاهلية و قبل إسلامه.

ليبيا وكان معظمهم من اللواتيين وقتها يقطنون بإقليم برقة، فلما سأل أعضاءَ هذا الوفد: " من أنتم؟" فقالوا: " من البربر من لواته." فقال عمر لجلسائه:" هل منكم من يعرف هذا القبيل في شيء من قبائل العرب والعجم؟" قالوا:" ليس لنا عن قبيلهم من علم." فقال العباس بن مرداس السلمي:" إن لي فيهم علما يا أمير المؤمنين؛ هؤلاء من أولاد بُرّ بن قيس وكان لقيس عدّة أولاد، أحدهم يسمّى بر بن قيس وفي خلقه بعض الرعونة يعني ضيقا فقاتل إخوته ذات يوم، فخرج إلى البراري فكثر نسله وولده وكانت العرب تقول تبربروا أي كثروا." »[1]

يتّضح لنا من هذه الروايات كلها، ومن خلال الدراسات الأثرية واللغوية، أنّ ما ذهب إليه المؤرخون والنسابون من أنّ البربر من الشعوب المهاجرة، هي حقيقة ملموسة؛ وأنه من الطبيعي أن يحدث هذا النوع من اللغط والتداخل في اللهجات، وإنّ القول بأن البربر أقوام مختلطة تؤكدها

1 -أبو زكريا، **كتاب السيرة وأخبار الأيمة**، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر،تونس،1985،ص 16. نقلا عن: محمد المختار العرباوي، ص 288 .

ويعبِّر عنها مجموع اللهجات البربرية الكبرى بصفتها دليلاً وشاهدًا على تنوّع المجتمع البربري منذ زمن الفراعنة وحتى اليوم، وهو جزء من ذلك التنوّع الذي زخرت به الجزيرة العربية قديمًا وفاضت به في موجات متلاحقة على أقطار مختلفة.[1]

3.4-نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر ابن خلدون

لقد كان ابن خلدون من الدارسين الأوائل للواقع اللساني في المغرب العربي، إذ رأى أن اللهجات المغاربية في تلك الفترة قد انحرفت عن أصولها الأولى أي اللغة العربية الفصحى، وهذا راجع لشدة تأثرها باللهجات البربرية المتكلم بها قبل الفتوحات الإسلامية.

فبعد أن تَمَّ فتح مصر انطلقت القبائل العربية لفتح المغرب وتمكّنت من السيطرة على برقة وزويلة وفزان، فاستقرّ بعض الجند العرب يدعون أهلها إلى الإسلام.[2]

---

1 -ينظر: السابق، ص 294.

2-ينظر: مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر،د.ط 1982، ص 31.

وفي السنة السابعة والعشرين هجرية (27 هـ =647 م) قام العرب بأوّل حملة حقيقية على إفريقيا، دعا إليها الخليفة عثمان بنفسه، فتقاطر الناس من مختلف القبائل للاشتراك فيها وكان أكثرهم من القبائل التي تقطن حول المدينة وذلك بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح.[1]

فجهز الخليفة عثمانُ بن عفان –رضي الله عنه– جيشًا عظيمًا فيه كِبار الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم عبد الله بن عباس من بني هاشم، عبد الله بن أبي بكر، وعبد الله بن طلحة في عدة من قومه من بني تميم، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن زيد بن الخطاب وعاصم بن عمر في عدة من قومه من بني عدي، وعبد الله بن الزبير في عدة من قومه من بني أسد، ومن بني سهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد المطلب بن سايب بن وداعة في عدة منهم[2]، وغيرهم ولكن كان معظم رجال جيش عبد الله بن سعد من عرب اليمن باستثناء نفر قليل من قريش؛ فيهم الكثير من أبناء

1-ينظر: السابق، ص31.

2- ينظر: مصطفى أبو ضيف، ص32 .

الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين رغَّبهم عثمان-رضي الله عنه- في التطوع، فوزّع عليهم السلاح وعلى ضعفائهم ألف بعير من ماله.[1]

وبعد اغتيال عثمان بن عفان رضي الله عنه في أواخر 35هـ = 655م اندلعت الفتنة الكبرى التي اضطربت فيها البلاد الإسلامية العربية وتأخّر الفتح إلى عهد معاوية بن أبي سفيان الذي أسَّسَ الدولة الأموية، وكان البيزنطيون قد استغلوا الفتنة التي اشتعلت خلالها النيران والعداوة بين أبناء المعتقد الواحد، فرجعت جيوشُ الروم الكبيرة الجرّارة للقضاء على الأمازيغيين الذين حالفوا المسلمين، واستطاعوا أن يقتلوا حاكم إفريقيا الأمازيغي جناحة، فاستنجد الزعماء المحلِّيُون بالعرب، راغبين منهم استئناف الفتح وتخليصهم من البيزنطيين، فجاءت من دمشق- العاصمة الجديدة للدولة الإسلامية – حملة معاوية بن خديج السكوني، استطاع هذا الأخير فتح مدينة "بنزرت" و"جلولاء" و"سوسة" و"جزيرة جربة". ثمَّ تبعتها حملة عقبة بن نافع الأولى وتعدُّ هذه الحملة مُوَفَّقَةً ؛ وهي جديرة بأن تعدُّ فتحًا حقيقيًا للإسلام في إفريقيا. فقد كان هذا القائد أوّل من شيَّدَ معقلاً ورباطًا للمسلمين في الشمال

1-ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، ج1، ص 144.

الإفريقي بتأسيسه مدينة "القيروان" بعدما اختار موقعها الإستراتيجي الهام، فلم يبق المسلمون، بعد بناء هذه البلدة، يحتاجون إلى الرجوع واللجوء إلى مصر بعد كل غزوة. فالقيروان شكّلت فعلاً الخطوة الأولى الحقيقية نحو بزوغ ولاية إفريقيا الإسلامية. وفي 55هـ = 675 م تولّى أمورَ شمال إفريقيا أبو مهاجر دينار الذي خرج إليها بجيوش أهل الشام ومصر وأكثرهم من قبائل أهل الراية [1]، فاعتنق الكثير من البربر الإسلام، ويعدُّ أول أمير للمسلمين دخلت جيوشه المغرب الأوسط وهذا راجع لمقدرته السياسية وكياسته في كسب الزعيم البربري " كسيلة بن لمزم".

وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان في منتصف رجب سنة 60 هـ= 679 م صارت الخلافة من بعده لابنه يزيد؛ وكان هذا الأخير مقتنعًا بفضل عقبة بن نافع على الإسلام وحسن بلائه في الفتح الأول لإفريقيا، فعزل أبا مهاجر دينار سنة 62 هـ=681 م، وخرج عقبة بن نافع بجيشه إلى المغرب الأقصى وبعض الفرق البربرية حتى نزل طنجة فواجه بشدّة جيوش الروم ثمّ عَرَجَ

1- ينظر: مصطفى أبو ضيف، ص 35.

إلى منطقة السوس.[1] وتداخلت المواجهات بين البربر والمسلمين إلى أن انتهت بانتصار المسلمين وقضى حسّان بن نعمان وموسى بن نصير على كل الفتن التي كانت موجودة آنذاك وجعلوا من المغرب بلدًا عربيًا إسلاميًا.[2]

كما أكّد ابن خلدون أن البربر ثبت إسلامهم في عهد موسى بن نصير[3]، وبناءً على ما سبق فإن القبائل العربية الأولى التي دخلت بلاد المغرب خلال القرن الأول للهجرة أدّى إلى ظهور مدن عربية بإفريقيا مثل القيروان وتونس. وكما سبق أن ذكرنا أن معظم أفراد القبائل العربية التي شاركت في الفتح كانت من أصلٍ يمني؛ فامتزج البربر مع العرب الفاتحين لِما كان لهم من تشابه، وهذا ما رآه أبو القاسم سعد الله في مقارنته بين الإنسان الأمازيغي وبين العربي، وقد تأكّدَ أنّ التشابه يُلاحَظ في الأوصاف والسمات الخَلقية والخُلقية.[4]

1-ينظر: محمد بن عمر الطمار، **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، 1984، ص 13- 16.

2-ينظر: نفسه، ص 17.

3-ينظر: ابن خلدون، **كتاب العبر**– ج6 – ص 103.

4 –ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**– ش.و.ن.ت. الجزائر،د.ط 1978 ، ص 7.

وبعد هذه النبذة التاريخية الوجيزة عن الفتح الإسلامي للمغرب العربي، يتضح لنا رأي ابن خلدون حين يقول إن اللهجات المغاربية نشأت بعد الفتوحات الإسلامية.

فقد كان أول من أشار إلى لهجة سكان المغرب، إذ يرى أن الكلام المتفق عليه في مدن المغرب أي كلام المغاربة المستقرين ليس هو بكلام مضر القديم، كما أنه ليس بكلام الجيل الحاضر من العرب الرحالة.

فابن خلدون يؤكد أن هذا الكلام لغة أخرى، لغة خاصة تبتعد عن لسان مضر ولسان العرب المعاصرين بل هي لغة أكثر بعدا عن لسان العرب القدماء.

فقد انتبه أن عادة المخاطبة في المدن وفي أوساط السكان المستقرين لا تمت بصلة إلى لغة مضر الغابرة ولا إلى لغة عرب زمنه فهي لغة تكسب سهولة الاستعمال الأصلية وتحي مستقلة بنفسها، فالمميزات التي تبرهن على ابتعادها عن لغة مضر تكمن أساسا في التغيرات والتحولات التي أطلق عليها

نحاة العرب(اللحن)[1]، فمصطلحات كلام المخاطبة تختلف من مدينة لأخرى، كما أن لغة أهل الشرق تختلف عن تلك التي يتخاطب بها أهل المناطق الغربية، وسكان الأندلس، ومن المعلوم أن كل شخص من هذه المجموعات قادر على التعبير عن عواطفه وتمنياته. ولا يعتبر عدم النطق بأواخر الكلمات عنصرا قادرا على خلق عائق في التفاهم بين الأشخاص.

درس ابن خلدون هذا الواقع اللساني من بداية أمره فقال:« اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير إعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم.»[2] ولما صار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام هجرت الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك « فصار اللسان العربي لسانهم حتى

1 اللحن هومصطلح أطلقه علماء اللغة القدماء على ظاهرة فساد اللسان العربي وهو الخطأ في اللغة.

2 ينظر: ابن خلدون **"كتاب العبر"**، ج1، ص548.

رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان بقي في الدلالات على أصله وسمي لسانا حضريا في جميع أمصار الإسلام»[1].

لقد عبّر ابن خلدون عن اللهجات العامية ونشأتها بعبارة فساد اللسان العربي ويرجع سبب ذلك إلى اختلاط العرب بالأعاجم فقال « إن سماع البربري في كل لحظة كلام غيره صارت تلك الملكة صفة راسخة عنده، وأصبح كأحدهم فصارت الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم ثم إنه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع

---

1 ينظر: السابق، ص548.

كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى وهذا معنى فساد اللسان العربي»[1].

كما رأى ابن خلدون الاختلاف في كلام هذا الجيل الجديد، إذ قال: «إن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها للغة مضر اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل بل، هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد فإما إنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعد عند صناعة أهل النحو لحنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشئ للغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس معهما وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد وأما إنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل فلأن البعد عن اللسان إنما

[1] ينظر: ابن خلدون "كتاب العبر"، ج1، ص555.

هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويَرْبُون عليه يبعدون عن الملكة الأولى واعتبر ذلك في أمصار أفريقية والمغرب والأندلس والمشرق».[1]

اتسعت ظاهرة اللحن بتوسع رقعة الدولة الإسلامية، فانقسم سكّان الأقطار الإسلامية إلى لهجات عامية، ووضّح ابن خلدون تلك التغيُّرات التي أصابت اللهجات العامية في البلدان الإسلامية، واختلافها من حيث الإعراب قائلاً : « وذلك أن نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاظوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائنَ تدلّ على خصوصيات المقاصد.»[2]

1- ابن خلدون "كتاب العبر"، ج1 ،ص 558.

2- ابن خلدون - " المقدمة " – ص 356.

ويعبّر أيضًا عن تلك اللهجات القائمة في الأقطار العربية بالملكة الممتزجة إذ يقول: « وهذه الملكة الممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب والملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويَرْبَوْن عليه يبعدون عن الملكة الأولى.»[1]

كما أكد ابن خلدون أن نزوح القبائل البدوية كانت السبب الرئيسي في تثبيت اللغة العربية بلهجاتها المختلفة في شمال إفريقيا. ففي نصف القرن الخامس الهجري الموافق لِلقرن 11 الميلادي، بدأت هجرات القبائل الهلالية إلى بلدان المغرب. وقد وصف ابن خلدون هذه القبائل بالغلظة والوحشية فقال:« لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة، وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين، عادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم، وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر.» [2]

1- السابق، ص 555.

2 ابن خلدون، "كتاب العبر"، ج1، ص 150.

لقد عملت هذه القبائل البدوية على تعريب القبائل البربرية بالمغرب وذلك لأنّ الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدّين الإسلامي، أوّلا وقبل كلّ شيء، بالمغرب ثمّ اللغة العربية شيئًا فشيئًا فأتت الهجرات الهلالية لتضيف إلى الدم البربري الدمَ العربي ولتعدل التكوين الجنسي والعنصري لسكّان المغرب.[1]

وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال إفريقيا سماتٍ جديدة ونتج عن امتزاج العرب بالبربر أجيالا أقوى شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم.[2] وكانت لهجاتهم عربية بدوية: « ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد، حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف، فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربية، أنه من أقصى اللسان وما فوقهُ من الحنك الأعلى. وما ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك

1- ينظر: السابق، ص 63.

2- ينظر: نفسه.

الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لا يشاركهم فيها غيرهم. حتى إن من يريد التعرب والانتساب إلى الجيل والدخول فيها يحاكيهم في النطق بها. وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف. ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها، فإن هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور، ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور. وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم، وهم من أعقاب مضر، وسائر الجيل معهم من بني كهلان، فى النطق بهذه القاف، أسوة. وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين، ولعلها لغة ***النبي صلى الله عليه وسلم*** بعينها. وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن " **اهدِنَا الصِرَاطَ المُستَقِيمَ** " بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا، فإن أهل الأمصار

أيضاً لم يستحدثوها، وإنما تناقلوها من لحن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح. وأهل الجيل أيضاً لم يستحدثوها، إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار. »[1]

لما توغّلت تلك القبائل العربية البدوية في القرى والأرياف وخاصةً الجنوبية منها، ساعدوا في تعريب البربر، فيرى عبد الرحمن الجيلالي أنّ هذا المنطلق التاريخي هو البداية الجديدة لفساد اللسان الأمازيغي وحتى العربي، وذلك عن طريق تداخل الألفاظ بين اللهجات الأمازيغية والعربية من جهة، وبسبب اقتباس وتداخل الأصوات اللغوية فيما بينهم من جهةٍ أخرى، وبالتالي ظهر التغيير اللغوي تدريجيًا.[2]

ونتيجة لانتشار تلك القبائل العربية بالمغرب وتعدد مواطن استقرارها في جميع أنحاء البلاد امتزجت بقبائل البربر وصاهرتها مما أدى إلى تطور

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص320.

[2] ينظر: عبد الرحمن الجيلالي – ج2 – ص 142.

مفاهيم القبيلة العربية بالمغرب[1]. كما أن تأثر البربر بالثقافة العربية كان سببا في جعلهم يكتسبون اللسان العربي بلهجاته المختلفة.

والحقيقة الملموسة أن تأثير اللغة العربية في اللغة البربرية، وخاصةً في لهجاتها المتنوعة عبر التراب الجزائري كان كبيرًا، فقد اخترق هذا التأثير اللغوي اللهجات الشرقية والغربية فأُدخلت فيها آلاف من الكلمات العربية من أسماء وبعض الصفات والنعوت والأرقام وأسماء الأيام. فمثلاً كلمة ضعيف أصبح يقال لها "أوضْعِيفْ" والقوي = "يْقْوَى" والقبيح = "أوقْبِيحْ". ونجد من أسماء أنواع الخضر البَصَلْ = البْصَلْ والبَسْبَسْ = "لْبَسْبَاسْ" وهو بقلة السّمار ويعرف في مصر بالشمر[2]. كما نجد من أسماء الحلي الخلخال = "آخلخال" والمرفع وهي قطعة من فضّة تحمل القرطين أو الأقراط وتُشبّك في المناديل التي تلفّ الرأس، ومن مُعدّات الخيل نجد القَرْبُوسْ = "أقَرْبُوسْ وهو السّرْج[3].

---

[1] ينظر: د مصطفى ابو ضيف أحمد عمر، ص335.

[2] ـ ينظر: الدكتور عبد المنعم سيّد عبد العال، **معجم شمال المغرب: تطوان و ما حولها**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط ، 1968، ص 29.

[3] ـ ينظر عثمان سعدي، ص 48 ، 93.

لقد شهدت الجزائر أحداثًا تاريخية متنوعة لا يمكننا فصلها عن تاريخ المغرب العربي عامة، ولقد تعاقب على هذه الأرض ملوك وأمراء من البربر ثمَّ من الأدارسة والرستميين والأغالبة، فالفاطميين، فالمرابطين، فالموحدين، وبعد انحلال دولة الموحدين المركزية، تنازع على حكمها بنو زيان من جهة، وملوك بني مرين بالمغرب مع بني حفص بتونس من جهة أخرى. وقد دام حكم بني زيان أكثر من ثلاثة قرون (1236م – 1554م=634-962هـ) « امتدت دولتُهم واتسعت حدودها من نهر ملوية غربًا إلى إفريقيا شرقًا ومن مصبّ الملوية إلى جيجل شمالاً إلى الصحراء جنوبًا، بحيث انقسمت المملكة إلى مقاطعات إدارية عديدة مثل تلمسان وتنس والجزائر وبجاية وكانت للمملكة مدنٌ ساحليةٌ مثل هنين ووهران ومستغانم وشرشال جلَبَتْ على الدولة بأرباح التجارة مع مختلف الأجناس.»[1]

وتمكّن ملوك بني زيان من جعل تلمسان عاصمة علمية ممتازة تنافسوا بها مع عواصم العالم المشهورة إذ ذاك مثل القاهرة، وغرناطة

1- مولاي بالحميسي، **نهاية دولة بني زيان**، مجلة الأصالة- العدد 26 – جويلية 1975، ص29، 30.

وتونس وفاس وبجاية، لأنهم فتحوا باب الهجرة للعلماء على مصراعيه، فأتوا بالنخبة منهم من المشرق ومن الأندلس والمغرب الأقصى.[1]

لقد حظيت اللغة العربية في الجزائر على مكانة راقية خاصة بها، إذ لم تقتصر على الجانب الدِّيني فحسب، بل شملت جميع جوانب العلوم التجريبية والعقلية؛ فقد شُيِّدت في بعض المدن الجزائرية، في تلك الفترة الزمنية، عدّة مدارس علمية موزعة على أهمّ المدن منها: المدرسة التاشفينية التي أسسها أبو تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمّو الأول، والمدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو حمّو موسى الثاني؛ بناها للعلاّمة أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف وتمَّ بنائها في الخامس من صفر 765هـ= 1363م. وهناك مدارس أخرى مثل مدرسة العُبّاد وهي منسوبة إلى قرية العباد ومؤسسها هو أبو الحسن المريني، ومدرسة جزائر بني مزغنة...وغيرها.

وقد وصف مفدي زكريا أسلوب التعليم المتبع في هذه المدارس قائلاً « كان أسلوب التعليم في هذه المدارس لا يختلف عن الطريقة العربية

1ـ ينظر: المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، مجلة الأصالة ، العدد26، 1975، ص124، 125.

المألوفة من الإلقاء والشرح وكان لها الأثر العميق في الازدهار العقلي والتطور الفكري الذي شاع بالجزائر ما بين القرن الثامن والعاشر للهجرة.»[1]

وكانت لهذه المدارس أثر كبير في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في الأرياف والقرى المجاورة للمدن الرئيسية، غير أن سكان تلك المناطق صبغوا اللغة العربية بصبغة بربرية مما أدى إلى نشأة لهجات عربية محلية.

وفي سنة 897هـ = 1492م شهدت المدن الجزائرية هجرات جماعية من الأندلس، وكان للأندلسيين لهجات خاصّة بهم لقول ابن خلدون «وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالقة والافرنجة وصار أهلُ الأمصار كلّهم من هذه الأقاليم أهلَ لغةٍ أخرى لاستحكام ملَكتهَا في أجيالهم والله يخلق ما يشاء ويقدِر.»[2]

1- مقدي زكريا، النشاط العقلي و التقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، العدد26، ص 164، 165.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص 350.

وكان تأثير الجاليات الأندلسية هامًّا في « الميدان الثقافي، بل كان هذا المستوى أهمّ وأشمل، مما كان عليه الصعيد السياسي، لأنَّ المثقفين الأندلسيين كانوا أكثر فاعلية، بحيث غيَّرُوا وجه البلاد الثقافي.»[1]

وأمّا ما بقي من ذلك الأثر اللغوي، فبضعة مصطلحات خاصّة ببعض الحِرف التقليدية وبعض الموشّحات الغنائية التي توارثتها الأجيال شفويًا، وتُسمّى بالنوبات الأندلسية، شعرًا ولحنًا وأداءً.

لا يمكن أن نُمحورَ اللهجة المغربية والجزائرية خاصة على محوري الزمن والمكان لانعدام الوثائق التاريخية الرسمية لتحديد ذلك. فاللهجات العامية الجزائرية غنية بتراثها اللغوي إذ تحمل في طياتها الكثير من ألفاظ العربية الفصيحة، أصابها بعض التغيُّر في بعض الحركات البنائية.

ويستخلص من هذه الدراسة أنّ طائفة من الدارسين ترى أن اللهجات العربية في الجزائر يميّزها الكثير من الخصائص اللغوية للغة العربية الفصحى بلهجاتها القديمة المختلفة، كظاهرة الإبدال اللغوي من إبدال صوت بصوت قريب من مخرجه أو من نفس صفاته، كما تشترك مع اللهجات

1- محمد طالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة،العدد 26 ، ص 56 ،57.

العربية القديمة في التغيّر لبعض الحركات البنائية. وترى طائفة أخرى من أنّ الأمازيغ عامّة أُعتُبِروا كفرع كبير من تلك الشعوب العربية القديمة التي انتقلت إلى المغرب خلال مراحل مختلفة وانعزلوا فيه، الأمر الذي ساعدهم على الاحتفاظ ببعض الصفات اللهجية العريقة التي ورثوها عن أجدادهم في العهود الغابرة. وحسبهم هذه القضية هي التي سهّلت عملية اندماج البربر في الجنس العربي واكتسابهم اللسان العربي بكلّ يُسر.

أما ابن خلدون فقد اعتبر أن قبائل بنو هلال وبنو سليم هم الذين كان لهم الفضل في تعريب المغرب. كما يرى أن الأمازيغ هم الذين أفسدوا اللسان العربي وطبعُوه بالقالب البربري ممّا جعلهم يبتعدون عن العربية الفصحى ويُنشئون لهجات عربية متنوّعة.

وخلاصة ما توصلنا إليه، والرأي الذي نميل إليه هو أن البربر عامة ما هم إلا فرع كبير من تلك الشعوب العربية القديمة التي انتقلت إلى المغرب على مراحل وانعزلوا فيه، السبب الذي جعل أهل المغرب يحتفظون ببعض

الصفات اللهجية القديمة التي كان يتصف بها الأجداد في العهود القديمة.

ولنفس السبب اندمج البربر في العرب بكل سهولة واكتسبوا اللسان العربي بكل يسر.

الفصل الثالث

نشأة المنطوق الجزائري العربي من

خلال الكتابات الإستشراقية

1-: تعريف الاستشراق

الاستشراق حركة ظهرت بعد الاحتكاك البشري المادّي بين الشرق والغرب، وبرزت نواة فكرته الأولى بالضبط بعد نهاية الحروب الصليبية التي دارت بين العالمين الإسلامي والمسيحي؛ وبمعنى أدقّ بعد انهزام الغزاة الهمجيين ورغبتهم في الانتقام، وفي القضاء النهائي على آخر دين يدعو إلى التوحيد. ثمّ تبلورت الفكرة وتجسّدت فعلا في القارّة الأوربية مع نهاية القرن الثامن عشر. وظهر هذا التيار أوّلا في إنجلترا عام 1779، ثمّ في فرنسا سنة 1799 وأُدمِج الاسم لأوّل مرّة في قاموس الأكادمية الفرنسية عام1838.[1]

والاستشراق (Orientalisme) يدلّ على نشاط كلّ عالِم يهتمّ بالبحث في أمور الشرقيين عامّة والمسلمين منهم خاصّة. فتخصّصَ المنتسبون إليه في إجراء دراسات مختلفة، قصد الاطّلاع الكامل والدقيق على حضارات سكّان الشرق وأديانهم وثقافاتهم وعلومهم وآدابهم ولغاتهم وعاداتهم. وقد ركز هؤلاء المستشرقون في بحوثَهم على دراسة الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة

[1] ينظر: فارس الإسكندراني، الاستشراق، منتديات بوّابة العرب – منتديات التربية و التعليم و اللغات – منتدى الثقافة العامّة :

http: //v b.arabsgate. com

بكلّ دقّة، لا يغادرون منها كبيرة ولا صغيرة إلاّ سلّطوا عليها الأضواء لمعرفة مضمونها وخباياها الإيجابية والسلبية، وذلك خدمةً لتحقيق أهداف أوربا الخفية في الاستعمار والاستغلال والتبشير.

حاول بعضهم أن ينصفوا الإسلام ولغته العربية معتمدين على الموضوعية النزيهة، ولكنّهم لم ينفكّوا عن تأثير ثقافتهم وعقائدهم؛ فصدر منهم ما لا يرضاه المسلم من مغالطات وتحريفات ومن بين هؤلاء المنصفين غوسطاف لوبون (Gustave Le Bon) 1841-1931 طبيبٌ وعالمُ اجتماعٍ وفيلسوفٌ مادّي لا يؤمن بالأديان مطلقًا. جاءت أبحاثه وكتبه مُسجلةً بإنصاف حقائق الحضارة العربية الإسلامية، ممّا أدّى إلى إهماله وعدم تقديره من طرف أبناء جلدته.[1] ومن طراز هذا الرجل *جاك بارك، وآن ماري شمل، وكارلايل وغوط، وسنغرد هنك* وغيرهم[2].

لقد كان من وراء نشأة الاستشراق أهداف كثيرة منها أهداف دينية تمثّلت في التشكيك في صحّة رسالة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وفي الكتاب الذي

---

[1] ينظر: غوسطاف لوبون،ص2.

[2] ينظر: مقالة فارس الإسكندراني.

أُنزل عليه والطعن فيه والاستهزاء بالفقه الإسلامي وقيمته، واعتباره مستمدًّا من حقوق الأمم السابقة. ثمّ انتقلوا إلى النيل من اللغة العربية وهم، في كلّ هذا الصنيع، يحاولون غرس مركّب نقص في المسلم، متّهمين دينهم بالأكاذيب الفاضحة، ومدّعين أنّ أصولَه ترجع إلى مصادر يهودية ومسيحية، وأنّه نسخةٌ من هاتين الديانتين غير منطقية عديمة الوحدة. وانطلقوا يُجهدون أنفسَهم وعقولَهم لتقديم البراهين أنّ الشريعة الإسلامية هي خليطٌ من القوانين الرومانية مكتوبة بالحرف العربي. وقد اعتمدوا في تحاليلهم «العلمية» على الأحاديث الضعيفة والمزوّرة وعلى الأخبار الكاذبة التي زيّنوها وأسبغوا عليها طابع الصحّة والحقيقة.[1]

أشرف المستشرقون على حملات التشويه ضدّ الإسلام حمايةً للشعوب الأوربية حتّى لا يُقبِلوا على هذا الدين ولا يعتنقوه، بل ليثأروا منه ويشاركوا في القضاء عليه أبديًّا، فقد عجز جدودهم عن طمسه ومحوه في فترة ما بين 1095م و1270م.

[1] ينظر:مختار العرباوي، ص7.

طلب ملوك دول أوربا ومسيِّروها الساميون من رجال هذه الحركة تأليفَ كتبٍ وتقارير حول البلدان الإسلامية لغرض احتلالها؛ وجزاءً على هذا العمل «الشريف» منح الحكّامُ مناصبَ عُليا وأموالاً طائلةً لتلك الطائفة من العلماء، وبالطبع استغلّت الشركات والمؤسّسات التجارية الكبرى والمغامرون الانتهازيون المعلومات التي توصّل إليها المستشرقون فأسرعوا إلى العمل بها للحصول على الغنى الفاحش والشهرة العالمية، ولقد ظهر ذلك جليًّا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي أي قبل القرن التاسع عشر[1].

لقد مثّل الاستشراق جزءً من مخطّط كبير هو المخطّط الصهيوني الصليبي لمحاربة الإسلام، فكانت مهام معهد اللغات الشرقية في باريس انتقاءَ المعلومات الخاصّة بالبلدان الشرقية ثمّ المساعدة لاستعمار تلك المناطق. ووظّفت أجهزة الاستخبارات الغربية، في كثير من الأحيان، بعض المستشرقين للتعرّف على أحوال المسلمين وكيفية مقاومة وإفشال حركة الصحوة التي قام بها أئمّة الأمّة وزعماؤها المخلصين.

---

[1] ينظر: السابق، ص9.

فمن أجل كلّ هذه الأهداف اهتمّ المستشرقون اهتمامًا ليس فوقه اهتمامٌ بالدراسات الدقيقة العميقة حول اللغة الوطنية والرسمية وحول اللهجات العامية المختلفة والعادات السائدة لتمزيق وحدة الأمّة المحمّدية. فشجّعت سلطات الاحتلال، بل فرضت بعد نجاح عملية الغزو المسلّح – بناءاً على نصائح حكمائها – على موظّفيها في المستعمَرات تعلُّم اللغة المحلية واللهجات الدارجة المستعملة في تلك البلدان لإتقان السيطرة عليها واستغلال سكّانها والانتفاع بخيراتها.

وبعد تحقيقهم هذا الهدف انتقلوا إلى هدف مرحلة ثانية، وهو تكوين ثمّ تخريج جيل من الأهالي شبّعه المسئولون عن إدارة الأجانب بالثقافة الدخيلة على مجتمعهم ومعتقداتهم، وأقنعوهم بأنّ ملّتَهم كانت صالحة لأبناء القرون الوسطى. فهي مملوءة بالشبهات والخُرافات، ثمّ أعطاهم الحكّام بعض مناصب القيادة ومراكزَ التوجيه. وظلّ أولئك العملاء تحت مراقبةِ أسيادهم المستمرّةِ والخفيةِ ليستمرّوا في تبعيّة المستعمِر.[1]

[1] ينظر:محمد مختار العرباوي، ص10.

إنّ ابن آدم شرقيًّا كان أو غربيًّا يكره أن يُحكم عليه ظلمًا وبغير سبب وأن يعامَل بدون إنصاف، لذا يجب علينا الاعتراف بأنّ المستشرقين كانوا يعملون وفق منهجيةٍ أعانتهم كثيرًا في مشاريعهم ولازالوا يطوّرونها ويحسّنونها، وممّا لا ريب فيه، أنّهم اتّصفوا بالصبر والدأب والجَلَد في التمحيص والتحقيق، فتعلّموا لغات أهل المشرق ودرسوا لهجاتهم ونقّبوا عن تراثهم، وبحثوا في المخطوطات وأنطقوا الرموز والنقوش المختلفة، ولم يدخّروا وسعًا في دراسة وتحليل جميع ما يتعلّق بشؤونهم في الميدانين التاريخي واللغوي. ومن الفوائد التي لا ينكرها عليهم الجاهلون، أنّهم قاموا بأعمال جبّارة ومفيدة؛ كوضعِ الفهارسِ المبوّبة القيمة والمعاجمِ الجامعة الدقيقة ودوائرِ المعرفة العميقة ونشرِ وتحقيقِ كتب التراث. كلّ هذه الوسائل ساعدت المفكّرين والكتّاب والباحثين، وأرشدتهم إلى طرقِ عمل إيجابية وفعّالة. وفضلُ المستشرقين أنّهم كانوا السبّاقين لاكتشاف ثمّ إيضاح تاريخ أمم قديمة ظلّهه غيرَ معروف خلال قرون

طويلة. فقد أطلعونا عن تاريخ كلٍ من المصريّين، والفينيقين، والمعينيّين، والأشوريّين والكلدانيّين والبابليّين والميديّين والليديّين. [1]

ومن أشهر رجال الاستشراق *شمبولين* الفرنسي *وبونغ* البريطاني اللذان حلاّ لغز الخطّ الهيروغليفي، *وماكس موللر* الألماني الذي استطاع، قبل غيره، قراءة الحروف السنسكريتية، وقد برهن بالحجج القاطعة أنّ البشرية في بداية وجودها على وجه الأرض كانت تدين بالتوحيد[2]. نعم وصلوا إلى معرفة الحقيقة الصحيحة التي أدّت ببعضهم إلى اعتناق الإسلام مثل ما حدث في وقتنا الحالي لبعض المثقّفين نذكر منهم *توماس أرنلد* البريطاني الذي ألّف كتابًا عنونه {الدعوة إلى الإسلام}، [3] والفرنسي *ريينه* صاحب كتاب {أشعّة خاصّة بنور الإسلام}، فقد عاش هذا الأخير في الجزائر وتوفّى وهو في فرنسا ثمّ دُفن في التراب الجزائري.[4] ومواطنه"*موريس بوكاي*" لجرّاح والكيمائي ومؤلّف كتاب {الإنجيل

---

[1] ينظر: السابق، ص13.

[2]-ينظر: فارس الإسكندراني:

http: //v b.arabsgate. com

[3]-ينظر: نفسه.

[4]-ينظر: نفسه.

والقرآن والعلم}، ومنهم من توصّل إلى الحقائق وأعلنها للملإ وبقي على معتقداته مثل غسطاف لوبون وليفي بروفنسال وغوطي وغيرهم.

صحيح أنّ أعمال الأغلبية الساحقة منهم اشتملت على الكثير من التحريف والتزوير في كتابة تراجم الشخصيات الشرقية، وفي فهم معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد اعتمدوا في ذلك على أراء أعنف، وعلى أشدّ أعداء الشرق والإسلام وعلى شهاداتهم الباطلة الكاذبة. فمن واجبات رجال العلم والثقافة من أبناء الشرق أن ينتبهوا إلى هذه الأكاذيب الشنيعة المبالَغ فيها لمقاصدَ معروفةٍ؛ فعليهم أن يكتشفوا مواطن الدسّ والتخريب الفكري وأن يتأكّدوا منها، فيكشفون عن وجه الخطأ فيها. وصفوة القول أنّه يجب دومًا الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي.

إنّ لكلّ فرع من العلوم أعلاما بارزين أثّروا فيه ببحوثهم ونشاطاتهم واتّجاهاتهم، فتركوا فيه بصماتِهم الواضحة، كما كان لهم تلاميذ وأتباع من أبناء جلدتهم ومن الأمم الأخرى. وقد اهتمّ المستشرقون الفرنسيون والألمان بتاريخ

وثقافة ولغة ولهجات وآثار وفنّ سكّان شمال إفريقيا بوجه الخصوص.

2-. نبذة عن حياة بعض المستشرقين

1°) سلفاستر دي ساسي (Sylvestre de Saçy) 1758-1838[1]

ولد في باريس عام 1758م، تعلّم اللغتين اللاتينية واليونانية في مسقط رأسه، وفيها درس على بعض القساوسة منهم القس مور(MAURI) والأب بارتارو(BARTAW)، ثمّ تعلّم العربية والتركية والفارسية وأصبح موظّفًا في المكتبة الوطنية في نفس عاصمة الدولة وأُسنِدت إليه مهمّةَ نشر المخطوطات الشرقية القديمة.

كتب هذا المستشرق العديدَ من البحوث حول العرب وآدابهم، وإثر ذلك انتقل إلى التعليم لمّا بلغ السابع والثلاثين من العمر، فعُيِّن أستاذًا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة بباريس، وألّف كتابًا في قواعد النحو العربي تُرجِم إلى الإنجليزية والألمانية والدنمركية. وفي سنة 1833م أصبح مديرًا للمدرسة التي كان يعمل فيها، واستطاع بمجهداته الكبيرة أن يجعل من بلدِه فرنسا قبلةَ

[1] Marçais W- Comment l'Afrique du nord a été arabisée -Faculté d'Alger –Edition Adrien Maisonneuve 1961,p139.

مستشرقي قارّة أوربا بأكملها. والجدير بالذكر أنّ دي ساسي هو الذي ترجم البيانات التي نُشِرت في الجزائر عند الاحتلال الفرنسي عام 1830 م، وتلك الأخرى التي وُزِّعت في الديار المصرية في بداية حملة نابليون بونبارت الأولى سنة 1797م على بلاد النيل.[1]

2°) فيليب مارسي (Phillipe Marçais) 1910-1984

ولد بالجزائر العاصمة أربع سنوات قبل الحرب العالمية الأولى، وفيها أخذ العلم، وفيها تعلّم لغة الضاد وبعد أن مرّ على مراحل التعليم الأربعة. انتسب إلى التعليم الجامعي ودرّس اللهجات العربية الخاصّة بأهل الجنوب الجزائري مسلّطًا الأضواء لاسيّما على لهجة بوسعادة.[2]

ساعد في تأسيس جامعة الجزائر وبعد قيامها ألقى فيها ابتداءً من سنة 1953م دروسًا في لغة العربية وحضارة شمال إفريقيا وبعد استقلال الجزائر عاد إلى بلده وعُيِّن أستاذًا في كلّ من نانط (Nantes) ثمّ رين (Rennes) ثمّ

[1] ينظر: فارس الإسكندراني: http//mrs.8K.com/oriental

[2] ينظر نفسه.

ذهب عام 1967م إلى لياج (Liège) في بلجيكا، ودرّس اللغة العربية في جامعتها وبقي هناك حتّى إحالته إلى التقاعد سنة 1980م.

لقد تكوّن فليب على أيدي أساتذة كبار من بينهم والده وليام (William) وعمّه جورج (Georges) وغيرهما. مات هذا المستشرق في باريس في الرابعة والسبعين من عمره ومن أشهر مؤلّفاته:[1]

*اللهجة العربية لجيجل (الشمال القسنطيني الجزائري)

*لمحة إجمالية عن قواعد العربية المغاربية.

*نصوص عربية مغاربية.

*نصّ عربي لفزّان.

3°) وليام مارسي (William Marçais) 1872-1956

عمل أستاذًا ثمّ مديرًا للمدرسة الفرنسية الإسلامية في تلمسان، وهي إحدى المدارس الثلاثة التي أسّستها الإدارة الفرنسية الاستعمارية،[2] ووضعت في برامجها حصصًا لتعلُّم اللغة العربية زيادةً على الموادّ التي كانت تُدرس في

---

[1] ينظر: الموقع السابق.

[2] Marçais W- Comment l'Afrique du nord a été arabisée -Faculté d'Alger –Edition Adrien Maisonneuve.1961,p XXI

المرحلة الثانوية من التعليم العامّ، والهدف منها تكوين وتخريج إطارات جزائرية يساعدونها في أعمالها لإدارة البلاد.

اعتبر بعض العلماء *وليام مارسي* أبًا لعلم اللهجات المغاربية، وقد ألّف مجموعة كتيّبات في اللهجات الجزائرية كما أنّه كتب مقالات في تعريب سكّان شمال إفريقيا الناتج عن اعتناق هؤلاء الأفارقة الإسلامَ دينًا لهم، وحرّر كُتبًا عنونها {اللهجة العربية المتكلّم بها في تلمسان- 1904م}، و{اللهجة العربية عند أولاد سيدي إبراهيم في منطقة سعيدة- 1906م}، و{النصوص العربية لطنجة - 1912م}، و{النصوص العربية لتكرونة- 1927م}[1] ومقالات أخرى في نفس الموضوع. توفّى هذا المستشرق عامين بعد اندلاع ثورة الجزائرية الكبرى.

لقد ترك لنا الجيلان الأوّل والثاني من المستشرقين دراساتٍ لهجية ومعجمية عديدة، وضعت اللبنة الأولى في مجال ترسيخ اللهجات وتصنيفها، وإفراد معاجمَ خاصّة بها، واستخلاص خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

[1] ينظر: السابق.

لقد شهدت كتب التاريخ للجزائر أنّها كانت ولازالت موطنَ التقاء لعدّة ثقافات ولغات، فبدأت فرنسا قبل احتلال الجزائر تهتمّ بالبحث في جلّ الميادين المساعِدة لتجسيد مقصودها، وكان في مقدّمة هذا الهدف الميدان الثقافي، فبعثت الكثير من علمائها كلٌّ واحد منهم يدّعي أنّه تاجِر أو مسافر أو مترجم أو قنصل وذلك بهدف دراسة الواقع اللساني للمجتمع الجزائري. فدرسوا اللهجات الجزائرية الأمازيغية والعربية، ودرسوا عادات وتقاليد ومعتقدات وأعراف الشعب الجزائري.[1]

4) فنتور دي برادي (Venture de Paradis) 1739م-1799م

كان هذا المستشرق من الدارسين الأوائل للواقع اللساني الجزائري في العهد العثماني. تفوّق على زملائه، فاعتُبِر ضمن جملة المترجمين الممتازين للغة التركية، وأصبح بفضل هذا التفوّق المبعوثَ الرسمي الفرنسي لدى دول

[1]) ينظر: فارس الإسكندراني:

http: //v b.arabsgate. com

الشرق. وفي البيئة المشرقية قام بأعمالٍ كثيرة ودقيقة، ساعد بها الكثير من المتخصّصين في علم اللهجات لسكّان شمال إفريقيا؛ إذ بيّن بعض الظواهر اللسانية واللهجية التي كانت منتشرة في المجتمع الجزائري في تلك الفترة وذلك من نهاية القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر.[1]

كان الهدف الأساسي من بعث هذا الرجل وأقرانه إلى الجزائر، التعرّف والاطّلاع الدقيق على اللهجات المتداولة في المجتمع الجزائري، وبفضل تلك المعرفة يُمكن القيام بالسيطرة التامّة على البلاد بكلّ سهولة، خصوصًا وأنّ الجزائر آنذاك كانت تعاني من اضطرابات سياسية كثيرة، ومقاومات مسلّحة ضدّ الحكّام العثمانيين.

كان المستشرق فنتور دي برادي يعرف اللغة العربية واللاتينية واليونانية فضلا عن إتقانه اللغة الفرنسية. وخلال سنة 1763م بُعِث إلى مدينة سعيدة كمترجم رسمي للحكومة الفرنسية وبعدها مكث في مصر وعاش فيها مدّة ثماني سنوات تعمّق أثناءها في معرفة لغة الضاد، ثمّ استدعته السلطات الفرنسية لمهمّة

[1]) Mohammed Meouk *Langue, société et histoire d'Alger au XVIII° siècle d'après Venture de Paradis* – Page 303 du livre *Trame de langues au Maghreb*– édition Maisonneuve et Larose :Paris – 2004.

أخرى. فبعثته إلى الديار التونسية من 1777م إلى 1778م، وفي عام 1779م ذهب إلى المغرب الأقصى لإجراء صفقات تجارية. وبعد القيام بما أُنيط إليه من أعمال رجع إلى تونس واستقرّ فيها ستّة أعوام من 1780م إلى 1786م، وكان هناك المترجم الرسمي لدولته الفرنسية.[1]

باتت تلك البعثات السبب الرئيسي في جعل هذا الكاتب المترجم يتعرّف عن كثب على المجتمع المغاربي. ففي سنة 1788م جاء إلى الجزائر العاصمة، للمفاوضات مع الباي بابا محمّد بن عثمان، لحادثة وقعت بين سفينة فرنسية قذفت سفينةً جزائرية، وأحدثت خسائر معتبرة لهذه الأخيرة، وكان قد حمل معه ستة آلاف (6.000) كتابًا هديةً للمسئول العثماني الأكبر على الديار الجزائرية.[2]

3- دراسة الواقع اللساني واللهجي للجزائر من قبل المستشرق فنتور دي باردي في القرن 17م

اغتنم *فنتور دي برادي* فرصةَ وجوده في الجزائر فأطال الإقامةَ فيها لمدّة سنة ونصف تقريبًا، تمكّن خلالها من الإبحار والتعمّق والإمعان في الواقع

---

[1]) السابق، ص : 305.

[2]) نفسه .

اللساني الخاصّ بعاصمة القطر. فاحتكّ بمختلف طبقات المجتمع، وتعرّف على الموظّفين الكبار للولاية العثمانية. فازدادت معرفتُه باللغة التركية ولم يقنع بهذا فقط، بل تعلّم في نفس الوقت اللغة الأمازيغية تعلُّمًا جيِّدًا حتّى عُدّ من الأوربيين الأوائل الذين رغبوا في معرفة هذه اللغة فلمّا أتقنها ألّف كتابًا تحت عنوان {موجزُ قواعدِ اللغة البربرية ومعجم مفرداتها معًا}،[1] تمّ طبعه في باريس سنة 1844م أي بعد موته بخمسة وأربعين عامًا.[2]

كانت الملاحظة الأولى التي جلبت انتباهه، والتي سجّلها قبل غيرها ظاهرة التمازج اللغوي في اللهجة الجزائرية من كلمات لمختلف اللغات: عربية وأمازيغية وتركية وإيطالية وإسبانية، والتي كانت تبدو طبيعيّةً في خطاب الجزائريين،[3] وقد تأكّد أنّ المفردات الإيطالية والاسبانية عُرِّبت وأُخذت القالب العربي نطقًا، واحتفظت بمعانيها الأصلية في لغتها الأولى واستعملها المواطن في حديثه اليومي بدون الإحساس بأيّ مشكلة.

---

[1] ينظر:

Mohammed Meouk: Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère,p305.

[2] ينظر نفسه، ص303.

[3] ينظر نفسه، ص307.

لقد سبق لهذا المستشرق أن تعلّم العربية الفصحى فاستطاع– وهو بالجزائر– أن يتعلّم اللهجات المحليّة بسهولة مدهشة، فأخبرنا عن بعض مفردات تلك اللهجات ورَسَمها بالخطّ اللاتيني وأعطى شرحا لها مثل:[1]

سقيفة - Saqîfa – Esquifé = Préau

مقصورة: Maqsûra - Maqsoura – Galerie = Chambre

وَسْطْ ادّار : Wast al-dâr – Wast el dar =Cour de maison

حوش : - Haouch - = Enclos- Jardin

اسوق الكبير : As-sûq al-kabîr – Es-Souk el-kébir = Marché central

الفندُق: Funduq – Foundouk = Hôtel

القُبَّ : = Koubbes- qubba-s =Coupole

ولازالت هذه الكلمات مستعملة في اللهجات الجزائرية إلى يومنا هذا تعبِّر عن نفس المدلول ولم يتغيَّر منها شيء.

[1], Mohammed Meouk: Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère p307–311.

ثمّ تساءل فنتور دي برادي عن أصل بعض أسماء الأشخاص والأنساب والأماكن أهي أمازيغية، أم بونيقية، أم عربية ومن جملة هذه الأسماء ما يلي :[1]

{El-Arach=El-Harras} – {Belidé= Blida}

{Mélidjé=Métidja} – {Méliano=Miliana}

{Tedles=Dellys}— {Aghmet=Laghouat}

{Mehedié= Médéa} {Gigel=Jijel}

فرأى أنه لابد من الرجوع أولا إلى الدراسة الدقيقة لجميع اللغات التي مارسها أبناء المنطقة خلال الحقب الماضية، وثانيا الاستعانة بعلم الآثار، وما يكشف عليه من معلومات هامّة. فحسبه أن البحث الجدّي في الكتابات المنقوشة على الألواح الحجرية قد يقدّم معلومات تُيسِّر الطريق إلى معرفة بعض الحقائق الغامضة في اللهجات المتداولة في المنطقة.

وبفضل دراسته لعِلْمَيْ *أسماء العَلَم وأسماء الأماكن* قام بوضع جدولَ اثني للجزائر[2] وذلك من خلال ملاحظاته الدقيقة لأسماء المناطق المجاورة للجزائر

[1]) ينظر: السابق، ص 312.

[2]) ينظر: نفسه.

العاصمة، وأسماء الوسائل المستعملة من قِبل المواطنين في مختلف أنشطتهم المهنية والتقنية اليدوية.

ثمّ منح *دي برادي* صفحات للملابس، فرأى فيها دورًا كبيرًا إن لم نقل أساسيًّا في إثراء العلم بمعلومات جديدة؛ فوصفها بجميع نوعياتها، فهي تعطينا نظرةً حول عادات المجتمع وحول العلاقات بين مختلف أفراده، وهذه الملاحظات تشير إلى تاريخ التبادلات الثقافية وإلى التقاطعات اللسانية. وانتبه الرجل إلى بعض الكلمات المستوردة ولكنّها أُضيفت إلى القاموس اللهجي الجزائري فصارت كأنّها أصلية؛ ومن بينها بعض أسماء الملابس النسائية والرجالية والتي لازالت مستعملة في لهجاتنا المحليّة ومن هذه المفردات: [1]

*) تاحايك (tahayk) المشتقة من حايك (hayk) التي لازال الناس يمارسونها في لهجاتهم وهو ذلك اللحاف الأبيض الذي تضعه المرأة على كلّ جسمها لتغطّيه عند خروجها من بيتها

*) عبروق (abrouk) وهو قطعة قمّاش

*) سبّاط (chaussures) = حذاء وينطق به كما سجّله.

[1], Mohammed Meouk: Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère p314.

*) نعل (na-al – naâl) = semelle de cuir

وسجّل أسماءَ بعض المجوهرات مثل : [1]

خلخال (kholkal) ومسايس (masais) مناقش (menâkich) بمعنى الأقراط. فاستنتج هذا المستشرق أنّ الواقع اللهجي الجزائري غني لاحتوائه كلمات من مختلف اللغات. فوصف هذا الواقع بأنّه لوحة فسيفساء، لأنّ هذا البلد استقبل العديد من الثقافات واللغات التي تمازجت وتجانست مع اللغة المحلية وأنتجت لهجات مختلفة.

كما أدرك ملاحظة أخرى ودوّنها فيما كتب، وهي أنّ اللغة التركية كانت مستعملة في المؤسّسات الحكومية من قِبَل كلِّ موظّفي المصالح، ومع هذا فإنّها لم تؤثّر كثيرًا في اللهجات المتكلَّم بها في الجزائر. إلاّ أنّه لا ينكر أن بعض المفردات التركية استُعمِلت في أسماء بعض الحِرف وبعض أسماء الأطعمة وغيرها[2].

[1] السابق، ص 314.

[2] ينظر:نفسه، ص311.

ومن الطبيعي أنّ المستشرق اختلط بالجزائريين واحتكّ بهم من أجل أغراض وجوده بين أظهرهم، ومن أجل دراسته. فرأى أنّ الشعب يستعمل بعض الألفاظ التي صنّفها ضمن مجموع كلمات la langua franca وهي اللغة التي كانت بمثابة وسيلة التعامل بين الأشراف وعبيدهم الأجانب لعدم وجود لغةٍ موحَّدةٍ، فأنشئوا لغةً جديدةً أدخلوا فيها مفرداتٍ إيطالية وإسبانية وتركية وعربية. وكانت هذه اللغة المُحْدَثة تُمارَس كثيرًا في الأقطار المطلّة على البحر المتوسِّط، ثم قدم لنا أمثلةً موضّحًا بها الوضعية اللسانية الجديدة شارحًا مضمون تلك الكلمات فيكتب:

*)(Capudan) وهي كلمة مزدوجة الأصل مركّبة من كلمة إيطالية (Capitano) أخرى تركية (Caput) بمعنى القبطان (Capitaine) وهي جارية الاستعمال عند البحّارة إلى يومنا هذا بنفس النطق كما مارس عمّال البحر والسفن كلمةً تركيةً مرادفةً لها هي (Raïs=رايس[1])

[1] ينظر: السابق، ص،313.

*) (Mouchaché de la ghûrfa) كلمة مزدوجة هي الأخرى وُضعت من كلمة إسبانية (Mouchaché) وأخرى عربية (ghûrfa) والمعنى الإجمالي خادم الغرفة = Valet de chambre

*) (Cara-porta) كلمة إيطالية عرّفها المستشرق حرفيًّا بقوله «هذه الكلمة مستعملة في العاصمة لنعت السَّرِقَة».

*) (Cogea de la rahba) كلمة مزدوجة من مفردتين أولاهما تركية وثانيتهما عربية بمعنى سكرتير الرحبة = Secrétaire de la place

*) (Bonjourno Effendi) عبارة مركّبة من كلمة إيطالية (Buongiorno) وأفندي التركية وأعطى لها الكاتبُ التفسير التالي : «كان القبطان في الفجر يصرخ مرّتين في الرواق قائلا Bonjourno -- Bonjourno Effendi Effendi.» ومعناها صباح الخير يا سيّدي.[1]

إنّ هذه الملاحظات التي قدّمها لنا هذا المستشرق قد أخبرتنا عن الحقائق اللسانية واللهجية في الجزائر، وكان الرجل آخِر حلقة لِسلسلة طويلة من المسافرين والجواسيس والتجّار والدبلوماسيين الذين طافوا في مختلف نواحي

[1], Mohammed Meouk: Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère p314.

المغرب العربي الكبير ودوّنوا ما شاهدوه، وبفضلهم – رغم السموم التي حاول بعضهم إذاعها ونشرها – أطلعونا على بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المنطقة، كما عرّفونا على الأحوال اللسانية في تلك الفترة الزمنية.

وممّا زاد أهميةً في دراسة دي برادي تسجيلاته لملاحظاته الشخصية بمناسبة سماعه قصيدة شعرية شعبية أُلقيت حين قذف الأسطول الدنمركي العاصمة الجزائرية سنة 1770م، وقد نقل واحتفظ لنا بهذه القصيدة المستشرق الفرنسي فانيون (E.Fagnon) أهداها للمجلّة الإفريقية التي نشرتها سنة 1894م. ويؤكّد فانيون بإلحاح أنّه لم يحدث أيُّ تغيير على النصّ الشعري الذي استمع إليه مواطنُه أثناء شهر صفر من السنة الهجرية 1184هـ الموافق لشهر تمّوز 1770م.[1]

عبّر الشاعر في قصيدته عن أفكاره وعواطفه وشعوره تارةً باللغة العربية الفصحى، وتارة باللهجة العامية الجزائرية المشتقّة من لغة القرآن، وذلك لعدّة دوافع منها الواقع الاجتماعي اللساني المعمَّم في العاصمة في النصف الثاني من

[1]Adolphe Jourdain, **Un Chant Algérien** de E. Fagnan: La revue Africaine- Vol 3..- Année1893...- Bulletin des travaux de la société historique Algérienne –,p332

القرن الثامن عشر. كما لاحظ دي برادي وجود بعض العبارات من لغات أوربية عُرِّبت بشكلٍ بسيط وهذا حسب حاجات الشاعر، ويبدو أنّ السطور الأولى التي افتتح بها دي برادى مذكّراته أنّها كانت بمثابة تنبيه لكلّ قارئ لهذه القصيدة فكتب : « سوف أعمل جاهدًا على أن أنقلَ الكلمات كما سمعتُها وأقدّم شرحًا لكلّ المفردات الصعبة على السمع، خصوصًا للأشخاص الذين لم يعاشروا البربر والتي نظّمها صاحبها بكلمات عربية، كما هو الواقع باللغة البروفنسالية المحلية التي تلجأ إلى مفردات فرنسية، وإنّه من الصعب تعيين الأخطاء النحوية والصرفية التي وُجدت في هذه القصيدة الشعرية إذ أنّها كُتِبَت للشعب وبلغة الشعب التي يسمعها الشعب ويفهمها»[1].

وعند نقله هذه القصيدة حرص على كتابة ثمّ شرح الكلمات اللهجية في حاشية الورقة التي استعملها للنقل ومنها :

*) بسم الله نبدى على وفا ذا القصّة تعيانا

ذا القصّة تعيانا بمعنى هذه القصّة التي رأينا

[1] ينظر: السابق، ص332.

*) اسمع يا قوم ما طرا في هذي القصّة نعيده

يا قوم ما طرا بمعنى اسمعوا يا ناس ما جرى

*) قصّة ذا الكفّار ظاهرا دين المرك اخزيوه جَدّه

دين المرك= الدنمراك= Danemark

اخزيوه جَدّه بمعنى يُخزى جدُّه =Que son aïeul soit confondu

*) والاّ نهدم بلادهم جاوْا بذا الطعمة محرشٍ

محرشٍ بمعنى عازمين على القضاء علينا

*) وجارنا محسوب بالوفا واحنايا في بلادنا

احنايا بمعنى نحن

*) جاوْا لها بسفن عاجف تحسابهم جبّانَ

جاوْا بمعنى جاؤوا – وَجبّانَ بمعنى المقبرة = Cimetière

*) عسكرهم معلوم عندهم يزضم بسيوف اخشان

يزضم بسيوف اخشان بمعنى يهجمون بسيوف عريضة خشينة

*) كيفاش الكفّار يطمعُ في البهجة سلطنة المدن

كيفاش بمعنى كيفما

لاحظ دي برادي أنّ الشاعر أشار إلى العاصمة باسمَيْها المعروفَيْن {مزغنّة} و{البهجة}، كما استعمل العبارة بلاد ألجير=(bled Algîr)[1] المركّبة من كلمة عربية وأخرى إيطالية. ومن جهة أخرى فإنّ الشاعر التلمساني المشهور ابن مسايب ذكر أن الجزائر العاصمة كانت تُسمّى ألجير=(Al-gîr)[2]

ويمكّننا علم اللسانيات من إخراج كلمات أخرى لهجية لجأ إليها الشاعر وهي تسهّل على اللسانيين معرفة الفترة التي قيلت فيها فالضمير {نحن} مثلا الذي جاء في القصيدة {احنايا} وأداة الاستفهام {ماذا} التي عبّر عنها بكلمة {كيفاش} واسم الإشارة {أولئك} التي صارت في لهجة الجزائريين {هادوهُما}[3].

وبما أنّ هذه القصيدة كُتِبت بلغة عربية دارجة احتوت على عدد لا بأس به من التبادلات اللهجية العاصمية، وبعض الكلمات الأوربية المعرّبة. فيمكن القول إنّ اللهجة العاميّة للعاصمة التي نقرأها في هذه القصيدة توضّح لنا الوضعية

---

[1]) Mohammed Meouk:*Trame de langues au Maghreb : Langue, société et histoire d'Alger au XVIII° siècle d'après Venture de Paradis* – édition Maisonneuve et Larose :Paris – 2004.– P 315.

[2] IBID.

[3] Adolphe Jourdain :La revue Africaine,. ,p332.

الاجتماعية في فترة معيَّنة من الزمن، وتعدُّ هذه القصيدة إلى حدّ اليوم الوثيقة الوحيدة التي تُبيّن لنا متى تكلّم الشعب الجزائري هذه اللهجة.

إنّ الهدف من وراء هذه الدراسة التاريخية اللهجية لهذا المستشرق يكمن في إظهار الواقع اللهجي في الجزائر، ومدى قدرة الجزائري على استعمال أكثر من كلمة أجنبية في الجملة الواحدة. كما أكّد *دي بردي* أنّ هذا النوع من الدراسة هو الذي يُنير دربَ كلّ من أراد معرفة متى تظهر أو تندثر لغة أو لهجة خلال أزمنة مختلفة، وأنّ الدراسة السياسية والثقافية لأيّ شعبٍ ما هي إلاّ تكملة للدراسة التاريخية اللسانية[1].

وفي ختام بحثه قال: « نحن نظنّ أنّ أيّ لغةٍ عربيةً كانت أو بربريةً، تشكّل شبه ميثاق متذبذب بين نصوص، غالبًا ما تكون غريبة عن بعضها البعض. فالازدواجية اللغوية، وإجبار المواطن قهرًا على إهمال ثمّ ترك ثقافته المحلية الأصيلة، وارتوائه بالثقافة الأجنبية والخليط الكلامي، والوضعية العليا أو السفلى للهجات الجزائرية، كلُّ هذه الظواهر اللغوية أنشأت حقائق لا شكّ فيها. فانطلاقًا

---

[1] ينظر:

Mohammed Meouk– P 315.

من هذه الحقائق واعتمادًا على ما لدينا من وثائق يجب الاستمرار في التفكير حتّى نتمكّن من إثبات البداية التاريخية في المغرب لكافّة الاستعمالات اللسانية: لغات عربية وبربرية وغيرهما.»[1]

4-نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر وليام مارسي

لقد قدّم وليام مارسي عدّة أبحاث عن نشأة اللهجات العربية في المغرب العربي الكبير، واستنتج من مجموعات بحوثه أنّ المنطقة تعرّبت وظهرت فيها لهجات مغاربية خلال مرحلتين مختلفتين تاريخيًّا.

انطلقت المرحلة الأولى في منتصف القرن السابع الميلادي = الأوّل الهجري – وأثناءها تعرّبت المدن المغربية الكبرى، وظهرت فيها لهجاتٌ خاصّة بها، سمّاها" *و.مارسي*" اللهجات العربية الحضرية. وبدأت المرحلة الثانية في القرن الحادي عشر الميلادي = الخامس الهجري – وفيها تمّ تعريب ريف المغرب العربي الكبير. فانجرّ عنه قيام لهجات ميّزها عن باقي كلام المستقرّين من سكّان البلدان الأربعة، وعرّفها باسم: *"اللهجات العربية البدوية"*.

---

[1]) السابق، ص 318.

يقول و.مارسي إنّ الغزو العربي لشمال إفريقيا بدأ خلال النصف الثاني من القرن السابع الميلادي = (الأوّل الهجري) قابله ردُّ فعلٍ أمازيغي امتدّ على فترة زمنية طويلة نسبيًّا، وفي أوائل القرن الثامن استولى العرب على المغرب نهائيًّا وأصبح تابعًا للمشرق العربي، وانطلق في نفس المدّة غزوُهم لِلديار الاسبانية. ثمّ يدقّق لقارئه أنّ المغرب قبل خضوعه لدمشق ثمّ لبغداد كان قد خضع لعدّة حضارات منها القرطاجية ثمّ الرومانية ثمّ الواندالية ثمّ البيزنطينية.[1]

فاستنتج أنّ هذه المنطقة سهلة الاحتلال ويرجع ذلك إلى أنّ الأمازيغ لم تكن لهم حكومة رسمية وموحِّدة تدير وتنظّم شؤون البلاد والعباد. ولهذا السبب لم يستطع الأهالي أن يصمدوا أمام القوى الحضارية التي جاءت مستعمرةً لِترابهم وخيراتهم إلاّ في بعض الظروف، حين برز زعماء مثل ماسينيسا وحفيده يوغرطة ثم يوبا الأوّل وغيرهم، محاولين مقاومة الحكّام الجدد.[2]

---

[1]) William Marçais :***Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*** dans "Articles et conférences de William Marçais"– Publication de l'Institut d'études orientales, faculté des lettres, Alger- Edition : Adrien Maisonneuve : Paris-(1961)- Page 171.

[2] IBID.

وبارتباط المغرب الوثيق بالمشرق العربي استطاع القادة الجدد أن يضعوا في المنطقة بصمات لن يقدر الزمان أن يمحوَها أو يزيل أثرَها، إذ تمكّنت السلطات العليا في دمشق من تعريب السكّان، الأمر الذي جعل من المغرب جزءً لا يتجزّأ عن الدولة الإسلامية الكبرى، فصار إقليمًا مسلمًا أوّلا ثمّ معرّبًا ثانيًا بصورة واضحة[1].

استهلّ المستشرق بحثه بتقديمه لنا تعريفه لكلمة {*التعريب*} فكتب:«التعريب هو تبني الشعب اللغة العربية وممارستها كلسان الحديث والحضارة هو الاستعمال الكامل لهذه اللغة، للتعبير عن الأمور المحسوسة وعن الأفكار المعنوية، وهو الانتماء إلى تلك الحضارة التي جعلت من العربية أداة التعبير واعتبار إنتاجها الأدبي والعلمي كتراث مجيد مشترك والنظر لأهمّ منجزاتهم كنماذج صالحة للتقليد، ثمّ هو الرغبة والدعوة العريضة للانتساب إلى العالَم الذي يستعمل هذه اللغة في كلامه اليومي وفي مؤلّفاته الفكرية، وهو الإحساس والتفكير مثل إحساس وتفكير أفراد ذلك العالَم وتقليدهم في حياتهم الاجتماعية، والسياسية، والعقلية، والعاطفية.وبالتالي فالتعريب هو المؤالفة الخالصة القلبية

[1])ينظر: السابق – ص 172.

بين وضعٍ لغويٍّ معيَّنٍ وبين مجموعة أذواق فنية وطموحات عاطفية وعادات ذهنية لا علاقة لها مطلقًا بعلم خصوصيات الشعوب أوالإثنوغرافيا وبعلم طبائع الإنسان أوالأنتروبولوجيا.»[1]

وخلص من هذا التعريف باستنتاجٍ مفاده أنّ الصلة بين انتشار الإسلام وبين التعريب صلةٌ متينةٌ، وجدّ قوية.

أكّد *و.مارسي* على هجراتٍ تمّت من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي شجّعها الحكّام والأمراء، معتمدين على أحاديثَ مزوّرة كاذبة نُسِبت إلى المصطفى(ﷺ) تحُثّ الناس على الهجرة والإقامة بالمغرب مثل : «من أتى إفريقيا لقي خيرًا وخيرًا»، و«توجد بإفريقيا باب من أبواب الجنّة» فغادرت مجموعات من المسلمين مواطنهم الأصلية وسكنوا المغرب وكان منهم المضريون، والقيسيون، والتميميون، والقرشيون، واليمنيون، والأنصار، وحتّى بعض جند خرسان.[2]

---

[1] William Marçais : ***Comment l'Afrique du Nord a été arabisée***– p172,173.

[2] IBID P 172.

كانت هذه الأعداد المهمّة من المهاجرين متمركزة لمدّة مائة وخمسين (150) سنة في القطر التونسي وما يقرب من النصف من ليبيا وحوالي الثلث من عمالة – ولاية – قسنطينة[1] أي الثلث من الشرق الجزائري واستقرّت أغلبية الوافدين في عدد محدود من المدن. فشهدت هذه الفترة أحداثًا كثيرةً، من بينها إنشاء مراكز هامّة للجنود وتشييد مساجد ومدارس لتعليم الأهالي أركان الإسلام والمبادئ الأساسية للغة العربية. فأصبح الشغلُ الشاغل لأولئك المهاجرين تعريب سكّان المدن والقرى التي استوطنوها حتّى تُصبح تلك الأماكن مشرفة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

اعتمد ومارسي على العالِم اليعقوبي في رسم خريطة لسانية لتمركز مختلف القبائل على تراب المغرب العربي، فنقل عنه أنّ جنودًا عربًا سكنوا في مدينة برقة وتجاوروا مع جالية من ذرية الجنود القدماء وعدد من اليمنيين في الجبال المجاورة لهذه المدينة، كما لوحظ عربٌ آخرون في مدينة قابس وفي المدن البزنطينية القديمة. أمّا إقليم قسنطينة فقد استقرّ فيه الجنود العرب، موزّعين على القلع البزنطينية القديمة. وعاشت في مدينة طبنة جالية قرشية

[1])ينظر: السابق، ص: 177.

وكان بعض الجنود الذين عسكروا في مدينة *بغايا* من أصل خراساني، وحكم مدينة ميلة ضابط من قبيلة قيس من بني سليم.[1]

لقد كانت مدينة *القيروان* مركز إشعاع العلوم والقلب النابض لجميع هذه التحركات والإنجازات؛ ويصرّح و.مارسي أنها تمتّعت بنفس الشهرة التي اكتسبتها كل من البصرة والكوفة والفسطاط. وقد ظلّ جميعها أربطة لنشر الإسلام واللغة العربية والدفاع عنهما.

وبعد مرور مائة وخمسين سنة من نشأتها أصبحت القيروان عاصمة المغرب العربي الكبير، وكانت لغة المعاملة فيها لغة الضاد، كما أنّها أنجبت للعالَم المغاربي الكثير من العلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة. فتخصّص بعضهم في علم الحديث والبعض الآخر في علم القراءات وفوج آخر في قواعد اللغة، وصفوة القول أنّهم بحثوا في شتّى العلوم الدينية والدنيوية.

ومن خلال المصادر التي حصّل عليها وعلى رأسها "أدب المعلّمين" للشيخ سحنون والذي نقله عنه ابنه محمّد، أيقن و.مارسي أنّ اللغة العربية المتكلَّم بها في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة لم تكن بعيدةً عن الفصحى الأدبية بل

[1] William Marçais : ***Comment l'Afrique du Nord a été arabisée***– p177,178.

كانت هي هي وبشكلٍ مبسَّطٍ وسهلٍ[1]. فقد فُتن الأمازيغي بسحر العربية فتعلّمها وحينئذ أصبح من الممكن، لابنِ المغرب إثر تعلُّمه إيّاها أن يكون موظَّفًا في الإدارة المحلية متمتِّعًا برتبة اجتماعية يُحسد عليها.

أضحى المغرب، بعد انتشار الإسلام فيه وبعد انطلاق تعريبه، دارَ هجرةٍ كلِّ خارجٍ عن القانون فَشَل في تحقيق رغبته، ومن أشهرهم إدريس بن عبد الله الكامل الذي أسّس الدولة الإدريسية. وقد قامت هذه الدولة بعد تشييد مدينة فاس، بجهود جبّارة لإتمام تعريب باقي المناطق التي لم تصلها بعد لغة العرب؛ ولكنّ هذا اللون الجديد من اللغة العربية لم يكن كسابقه، إنّما تفرّع إلى لهجات مختلفة قسّمها و.مارسي إلى نوعين؛ كان الأوّل منهما منتشِرًا في المدن مثل *القيروان، وتونس، وتلمسان، وفاس*، وقد اشتركت في تلك المدن حالات لسانية متطابقة، وذلك في ميدان تركيب الكلمات والجمل وفي المعاجم وفي الفونيتك. وكان النوع الثاني مستعملا من طرف البدو في الأرياف، وقد لوحظ بالدرجة الأولى

[1] William Marçais : ***Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*** p 180.

في الجنوب التونسي والريف الجزائري وأقصى جنوب المغرب. ثمّ بعد هذا انتبه إلى وجودِ صنفٍ ثالثٍ وهو وسط بين النوعين المذكورين.[1]

فالازدواجية اللغوية تبرهن على أنّ اللغة العربية جيء بها إلى المغرب عن طرق مختلفة، وفي أزمنة متباعدة عن بعضها البعض فتلك التي كان يتكلّم بها الناس في المدن العريقة كأنّها الوريثة للغة المشتركة بين الغزاة العرب الأوائل الذين شنّوا هجمات على المنطقة في القرون السابع والثامن والتاسع بعد الهجرة.[2]

لقد عاشت جماعات من الريفيين وأخريات من المستقرّين في أربع نواحي من المغرب العربي، تكلّم جميعُهم لغةً عربيةً ليست بالبدوية ولا بالمدنية، لكنّها أقرب للأولى منها للثانية. وهذه المقاطعات السكنية هي الساحل التونسي أوّلا، ثمّ الشمال القسنطيني إلى ساحل البحر الأبيض المتوسّط ثانيًا، ثمّ ناحية جبال التراري شمال تلمسان ثالثًا، ورابعًا وأخيرًا موقع جبال جبالة شمال مدينة فاس. فمواطنو الأنحاء الثلاثة الأخيرة – الاثنتان في الجزائر والأخرى بالمغرب

[1])ينظر: السابق– ص : 185.

[2])ينظر: نفسه.

يجمعها قاسم مشترك واحد؛ هو استعمالهم لمفرداتٍ وتراكيبَ عربيةً من أساليب الأقدمين، وفي نفس الوقت يبالغون في استقراض كلمات من اللغة الأمازيغية، ويأتون بتشويهات صوتية استثنائية بالمغرب، ويلجئون إلى ممارسة تراكيب نحوية وصرفية بعيدة كلّ البعد عن العربية والتي يظهر فيها قِوام اللغة الأمازيغية بكلّ وضوح .

اقترح و.مارسي على القرّاء أن يرجعوا إلى التاريخ مستعينين بأضواء الجغرافية؛ ويستنتج أنّ تلك المجموعات الأربعة من الكلام هي قروية لا يتكلّم بها البدو. ولكلّ منطقة من المناطق الأربعة عاصمة جهوية، وأنّ البحر يحدّها شمالا، وقد شيِّدت فيها طرق تربط فيما بين المدن الداخلية ثمّ بين العاصمة وبين الموانئ.[1]

ومن هنا تقدّم مارسي بفرضية مفادها أنّه لم يكن يوجد عرب في المرتفعات الجزائرية، قبل القرن الحادي عشر الميلادي، أي قبل اكتساح بني هلال وبني سليم جزءً كبيرًا من إفريقيا الشمالية. فقد عاشت في المرتفعات الجزائرية

---

[1] ينظر:

William Marçais : ***Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*** p 186.

عناصر ريفية أمازيغية مارسوا اللغة العربية التي اكتسبوها من خلال معاملاتهم التجارية مع المدن الكبرى، واعتبر الباحث تلك اللغة لغةً عربيةً غريبةً اختلقها مزارعون أمازيغ بعد تشويههم اللغة المشتركة بين مختلف فئات المجتمع المدني علمًا أنّ أفراد كلِّ واحدةٍ من هذه الأرهاط كانوا يتكلّمون بلهجة خاصّة بهم، وقد أدّت هذه اللهجة الغريبة دورًا كافّيا في تيسير التفاهم بين جميع من كان يتلفّظ بها.[1]

لقد درس وليام مارسي لَهجات مختلفة لسكّان شَمال إفريقيا فلاحظ نموذجًا جديدا لا هو لأهل المدن ولا هو من كلام البدو في منطقة تكرونة بتونس، وجد فيه مُميّزاتٍ شبيهةً بتلك التي سَمعها في نواحي جيجل، وتلمسان، ولاسيّما عند قبيلة تزارة، وفي شَمال المغرب الأقصى عند قبيلة جبالة.[2]

لقد أطلق على هذا النوع الجديد من الكلام العبارة «كلام سكّان القرى =الكلام القروي» وهو المبادرة الأوّل الذي أتى بِها في مقدّمة رسالته حول تكرونة فكتب : «نَحن مستعدّون على أن نعتبرَ هذه الأصناف من الكلام ذات

---

[1] ينظر: السابق،ص186.

[2] ينظر: نفسه.

الأصول المتنوّعة، أنّها اللغة العربية التي كان يُتكلّم بِها في بعض جهات الريف المغربي قبل قدوم بني هلال وبني سليم، ويعود أصلُها إلى حديث قاطني المدن العريقة التي كانت مراكز إشعاع للتعريب، وكانت هذه اللّهجات لهجات عربية مغاربية مدنية أدخل فيها الفلاّحون الريفيون الأمازيغيون بعض التغيُّرات، وكانت أهميّتها الكبرى بالنسبة إلينا، أنّ مناطق – المغرب الأقصى والجزائر– التي أجرينا فيها دراساتنا، قد شيِّدت في جنوبها ابتداءً من عام 1100م مدينة رئيسية كانت عاصمة جهوية وفي الشمال عدّة موانئ ورُبطت كلّ بلدة جنوبية بالمدن الساحلية؛ فقسنطينة مع القل وجيجل، وتلمسان مع هنين ورشغون، وفاس مع طنجة وسبتة وباديس. ثمّ خلال القرون التالية، تسرّبت جماعات بشرية ذات لهجة خاصة في مناطق الواد الكبير، وفي حوضي واد تافنة الأسفل والأوسط، وفي واد سبو، حملها على ذلك أمراء أو ظروف أخرى فعزلت تلك المجموعات البشرية قسنطينة وتلمسان وفاس عن ضواحيها حيث سكن أُناس تكلّموا بكلام أصحاب الريف (الكلام القروي) فاتّجه كلّ من كلام المدن وكلام القرى اتّجاها

خاصا معيّنا، وقد ركّز كلّ نوع على المميّزات التي انفرد بِها وحدَه، منذ البداية، حينئذ نتج عن اختلاف الطبع، كثرةُ المبادرات ».[1]

وهكذا ظهرت لأوّل مرّة عبارة «الكلام القروي» الذي سيكون له حظّ وافر وأهمية قصوى في علم اللّهجات المغربية. فهذا النوع من الكلام الذي واجه احتقارًا مرارًا قد جلب أنظارَ الباحثين ففحصوه بِجدٍّ ومن كلّ جوانبه لما كان يحتوي من قيم تاريخية عميقة وأهمية كبرى، تساعدُهم على فهم تاريخ اللّهجات العربية خاصّةً وتاريخ اللغة العربية عامّةً في المغرب الكبير.[2]

ثمّ يتابع وليام مرسي حديثَه عن وضعية الساحل التونسي الذي يَمتاز في نظره بِمكانة خاصّة فيقول: «إنّ الشريط الساحلي التونسي الضيّق الذي تَمركزت فيه جلّ القرى مَملوءٌ، منذ أكثر من ألف عام، بالطرق التي تربط بين مدينة القيروان وهي أمّ المدن المغربية، وبين مينائها الدائم سوسة، ثمّ بينها وبين المهدية التي نافستها طيلة قرن تقريبًا، وأخيرًا بينها وبين مُنستير وهي بلدة العبادة والاعتكاف. ويبدو أنّ فلاّحي هذا الشريط تعلّموا اللغة العربية من سكّان

[1]Dominique Caubet:Dialectologie et histoire au maghreb pour une sociolinguistique historique. p59 (trame de langue)

[2] Caudet. D,p 189.

تلك المدن ثمّ نقلوها إلى بيئتهم الخشنة ثمّ بعد تطوّر طويل وبطئ طُبعت تلك اللغة بطابع خاص، ورغم هذه الحقيقة فإنّها تبقى قريبةً من الكلام المدني لكنها تَختلف عن الكلام البدوي بناءً على نظام الحركات والسكنات وعلى قواعد الصرف والنّحو، ولذا لا يَجوز أن تُنسب إليه أو أن يقال إنّها فرع منه.

فهذه الأسباب تتيح لنا أن نصرّح أنّ كلام الساحلِ التونسي وقبيلتي جبالة وترارة وسكّان منطقة القبائل الشرقية(الشمال القسنطيني) كأنّ هذا الكلام لغة عربية مدنية ألحق بِها سكّان الأرياف بعض التغيُّرات.»[1]

قدّم مارسي فرضيَة وجود نوعين من الكلام في المغرب الكبير قبل حَملة الهلاليين هما : *الكلام المدني والكلام القروي* وهما يتعارضان حسب نظريته مع *الكلام البدوي*.لبني هلال وبني سليم وقد كان الاثنان يُمارسان في جهات بعيدة عن بعضها البعض؛ فزيادة عن الساحل التونسي فإنّا نراهما في القبائل الصغرى وفي تلمسان وندرومة وفي فاس ومن ثَمَّ سجّل الباحث الإبداعات الناتِجة عن مَجموع هذا الكلام، وشرح أسبابَها المتمثِّلة في وجود نوع من النقص في التوازن اللغوي، مشيرًا إلى الاستحداثات في ميادين الفنولوجية

[1] السابق ص159.

وتركيب الكلمات وقواعد الصرف والنّحو والمعاجم الموجودة إلى يومنا هذا في هذه الأنواع من الكلام .

وبالفعل، كلّما يُدخَل ابتداع في نظام لغوي معيّن، يتولّد فيه اختلال في التوازن لابدَّ أن يُعوّض وقد نُسبت تلك الابتداعات الجزائرية والمغربية إلى تأثير اللغة الأمازيغية التي تكلّم بِها أبناء الجزائر والمغرب قبل وصول الإسلام إلى منطقتهم. فتأكّد العلماء من هذه الحقيقة في مَجالات الفونتيك والمعجمية وتركيب الكلمات واشتقاقها وقواعد الصرف والنحو.

دقّق مارسي الدراسة والتحليل في وضعية تكرونة بتونس، وألّح أنّها وضعية استثنائية لأنّ تأثير الأمازيغية فيها ضعيفٌ بالنسبة لِجارتَيْها الجزائر، والمغرب. فالأمازيغة اختفت في القطر التونسي وبقي حوالي 1% من التونسيين يستعمل هذه اللغة .

* فالساحل التونسي كان، إذن، من الناحية اللغوية، سبّاقًا في تقبّل التعريب وعمقه، وتفوّقه بكثير، على المناطق الأخرى في المغرب الأوسط والأقصى.[1]

---

[1] ينظر:

Caudet. D,p 189.

وخلاصة قوله أنّ تعريب تلك المناطق لم يتمّ إلاّ عن طريق تلك المدن القديمة التي ربطتها عدّة علاقات تجارية واقتصادية واجتماعية، وكلّ هذه العناصر تظهر بمثابة عواملَ ذات وظيفة تتجلّى في دفع آلية التفاعل اللساني بين أفراد هذه المناطق عبر فضاء جغرافي، ويمكن اعتبارها عناصر محفِّزة لعملية التفاعل **اللهجي** في الخريطة **اللهجية**.

لقد اعتمد واقتنع العلماء منذ وقت طويل بالازدواجية اللسانية التي اقترحها وتقدّم بها ابن خلدون والمتمثِّلة في كلام الحضر وكلام البدو.

فقد اتّصفت هذه الازدواجية السوسيولغوية التي حدثت في وقتٍ واحدٍ ببُعْدٍ تاريخيٍّ؛ إذ أنّ البدو اكتسحوا المنطقة إلاّ بعد القرن الحادي عشر الميلادي، فالتضارب مضاعف؛ كلام الموجة الأولى من الفاتحين الذين استقرّوا في المدن ثمّ كلام البدو الذين عاشوا حياة الترحال في الهضاب العليا وقد وصلوا إلى البلاد فيما بين القرون الحادي عشر والسادس عشر. فكانت لغة الأرياف

مصدرها هو المثال الأصلي الذي كان ينطق به الغزاة الرحّال من بني هلال وبني سليم خلال القرن الحادي عشر[1].

فموجة العرب الثانية التي اكتسحت المغرب العربي الكبير عامّة وعلى الجزائر خاصّة، تعدُّ بمثابة الخطوة الجبّارة في تعريب الأهالي،[2] وقد حدث هذا ابتداءً من القرن الحادي عشر إثر وصول القبائل العربية إلى الشمال الإفريقي والتي بعثها الخليفة المعزُّ لدين الله الفاطمي تأديبًا وعقابًا للأمير الزيري الذي أعلن انفصاله وانفصال وطنه عن مصر الفاطمية، وكانت تلك القبائل تتكلّم لهجات عربية بدوية، وعلى الرغم من اشتهارها بالخشونة والعنف واللجوء إلى القوّة، فإنّ أفرادها لم يتدفّقوا على البلاد كالسيل العرم ولم يدخلوها بعد غزوٍ مفاجئٍ بل إنّ بعضَهم أقام في تلمسان وبعضًا آخر في فاس تنازلاً لطلبٍ من سلطاني المملكتيْن الزيانية والمرينية؛ فانخرطوا في الجيوش المحلية وحصّلوا بهذه الطريقة على مراتبَ عليا وأموال طائلة، وقد استطاعت العناصر العربية بسهولة فائقة وغريبة أن يندمجوا في المجتمع الجديد إذ لم يعد يُنظَر إليهم

[1])ينظر: السابق ص 185.

[2] Marçais W- Comment l'Afrique du nord a été arabisée,p171

كدخلاء، بل أصبحوا فرعًا أساسيًّا من مجموع السكّان، وذلك برضا الأهالي كلِّهم، مع الإشارة الهامّة أنّ توغُّلهم داخل التراب الجزائري كان بطيئًا جدًّا وأنّ زحفهم هذا سبّب حوادثَ وجّهت نموَ البلاد السياسي والاجتماعي والثقافي واللغوي[1]، في اتّجاهاتٍ جديدةٍ ومن جملة أولئك الغزاة القادمين قبائل قيسية كبني سليم وبني هلال بفروعها زغبة وأثباج ورياح ومن اليمنيين كبني معقل ومن غيرهما بني عدي وعنزى وقد زحفت تلك القبائلُ على البلاد واستقرّت فيها بسائر أعضائها؛ محاربيها وأولادها وشيوخها ونسائها.[2]

ولكن حين رأى رجال السلطة المحليون فيهم علامةَ القوّة أي علامة الخطر على كيانهم نقلوهم إلى أمكنة أخرى لا يعرفون عنها شيئًا ولم يسبق لهم بها علمٌ.

كان من نتائجِ سقوط أيّ مملكة أمازيغية تفكّكُ القبيلة الرئيسية التي أقامت هذه الدولة، وتفكّكت معها كافّة القبائل التي ساعدتها في تأسيس تلك المملكة؛ فأُجبِر الأمازيغ على طلب الولاء من العرب البدو، وكان تجنيدُ أولئك الوافدين

---

[1] ينظر:مصطفى أبو ضياف أحمد عمر، ص335.

[2] ينظر: Marçais W- Comment l'Afrique du nord a été arabisée,p171:

في القوّات العسكرية ونصرتُهم للمواطنين الأصليين، تمهيدا لتعريب أبناء المنطقة.[1] فقبيلة هوارة التونسية تمّ تعريبُها حتّى ظنّها الظانُّ عربيةً أصلاً، ونلاحظ الظاهرةَ عينَها مع قبيلة ولهاسة العنّابية، فقد قلّدوا العرب البدو في ملابسِهم وعاداتِهم وتعلّموا منهم لغتَهم وشاركوا بصفة فعّالة أثناء القرن الرابع عشر في انتصار التونسيين على الملك المريني.[2]

وخلال القرن الموالي تمّ تعريب المغرب الأدنى نهائيًّا، أي تمّ انضمام البدو العرب في القبائل الأمازيغية. فأحدثت الوضعية الجديدة ضعف القوات المسلّحة في القطر المذكور، وتبخُّرت اللغة الأمازيغية فيه وذلك عكس ما جرى في المغرب الأقصى، إذ لازالت فيه مساحات شاسعة للغة الأمازيغية، أمّا في المغرب الأوسط، فإنّ القبائل الأمازيغية والعربية التي سجّل التاريخ أسماءها قضى عليها الزمن، وقامت مكانَها اتّحادات لعدّة قبائل بأسماء جديدة مثل أولاد نهار وأولاد سيدي الشيخ وأولاد رياح وأولاد نايل... وغيرها.[3]

---

[1] ينظر: السابق، ص171.

[2] ينظر: مصطفى أبو ضياف أحمد عمر، ص167.

[3] ينظر:

Marçais W- Comment l'Afrique du nord a été arabisée p184.

إن اضمحلال المملكة المحلية وتعميم الفوضى في الأرياف تحت ظلّ الحكم العثماني كَوَّنَا سَبَبًا في تفسُّخِ الجماعات القديمة، واختلاطِ العناصرِ البشرية المختلفة، وبروزِ مسئولين سياسيّين جدد. فكانت هذه الظواهر، سببا لتعريب الأمازيغ في الجزائر ونشأة لهجات مغاربية.

ويستخلص من كلام وليام مارسي أنه اعتمد في أبحاثه ودراسته للهجات العربية المغربية على أعمال *عبد الرحمن ابن خلدون* الذي حلل المجتمع، وبوجه خاصّ المجتمع المغاربي، الذي كان يعرفه معرفة دقيقة من خلال العوامل التزامنية والتطورية والعوامل التي كانت تحرّك وتحوّل ذلك المجتمع. فقد اختصت المدرسة الخلدونية بدراسة الجماعة البدوية والمجتمع الريفي والحضري ولقد أدرك ابن خلدون إدراكاً جيّدًا كيفية تحليل عناصر المجتمع وما ينطوي عليه من اختلافات كتلك الموجودة بين الأجيال في أحوالهم واختلاف نحلهم من المعاش.

5-نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر المستشرق فيليب مرسي

كان للمستشرق فليب مارسي (Philippe Marçais) عدّة أبحاث في دراسة اللهجات الجزائرية، منتهجًا في ذلك نهج والده وليام (William)، فوضح أن نشأة اللهجات العربية في المغرب العربي بصفة عامة، كانت نتيجة تعريب هذا القطر.الذي مر-حسبه- بمرحلتين اثنتين؛ بدأت أولاهما مع الفتوحات الإسلامية الأولى خلال القرن الهجري الأوّل الموافق للسابع الميلادي، ولم يحدث في تلك الفترة اندماجٌ بين الجنسين البشريين العربي والأمازيغي غير أنّ نتائج تلك المرحلة في المجالات السياسية والعمرانية والدينية ثمّ اللغوية كانت جدّ هامّة في المدن بالدرجة الأولى، إذ شيّد العرب المسلمون ثكنات لجنودهم[1] في النواحي التي يريدون أن يراقبوها، ويسيِّروها وبناءً على هذا المبدأ، لعبت كلٌّ من تلمسان، وقسنطينة، نفسَ الدور الذي أدّتْه مدينةُ القيروان بالتراب التونسي، والذي ستؤدّيه مدينة فاس بالمغرب الأقصى، بعد تأسيس الدولة الإدريسية. فرأى أنّ :«هذه المدن هي التي ساعدت على نشر اللغة العربية بين

---

[1] ينظر:

Encyclopédie de l'Islam – T1- Algérie (langue) Marçais Phillipe - Edition Maisonneuve et Larose-Paris- 1975; p350

الأمازيغ البدو أو سكّان المرتفعات القاطنين في ضواحيها القريبة؛ منها أنّ تلمسان اهتمّت بتعريب سكّان منطقة جبال تزارة، وأولت قسنطينة العناية الكبرى لمنطقة القبائل الشرقية. فانحصرت عمليّة التعريب في نطاق ضيّق، وإلى هذه الفترة تُنسب نشأة ما يسمّى باللهجة الخاصة بالمراكز الحضارية العريقة والجهات الجبلية المجاورة لها».[1] والتي عرّفها *بلهجات ما قبل الهلاليين*.

أمّا المرحلة الثانية، فبدأت باكتساح القبائل العربية البدوية من بني هلال وبني سليم وبني معقل المغرب العربي في منتصف القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، فتمّ إثر انتشار هذه القبائل وتمركزهم بالبلاد تزاوجُ بين الجنسين الذي أدى إلى اتّساع دوائر نشر اللغة العربية، وبالتالي سهل تعريب شمال إفريقيا[2]، ونتج عن هذه الظاهرة انتشار لهجات مختلفة باختلاف تلك القبائل .

[1] Phillipe Marçais,page : 384.

[2] IBID.

فقد استطاع فيليب مارسي أن يرسم خريطةً لسانيةً لأهمّ المناطق التي سيطرت عليها هذه القبائل البدوية. فبين أنّ « لهجات بني سليم تركّزت في شرق الجزائر، ولهجات بني معقل في غربها، وأمّا لهجات بني هلال فقد استقرتّ في وسط البلاد، وسُميَّت هذه اللهجات التي تكلّموا بها وأذاعوها باللهجات البدوية[1].»

ومن خلال دراسته قام فيليب مارسي بتقسيم اللهجات العربية في الجزائر إلى قسمين: لهجات ما قبل الهلاليين ولهجات البدو.(ويقصد بها لهجات كل من بدو بنو هلال وبنو سليم).

أولا- لهجات ما قبل الهلاليين

أدمج ف. مارسي تحت هذا القسم لهجات سكان القرى مع لهجات سكّان المدن من مسلمين.وجاليات يهودية.

[1]) السابق، ص 385.

أ)-لهجات سكّان القرى :

قسم ف.مارسي لهجات سكان القرى إلى مجموعتين، وهما المجموعة الوهرانية أوالغربية والمجموعة القسنطينية أو الشرقية[1]. أمّا المجموعة الأولى « فتضمّ جبالَ ترارة، والتي تمتدّ من مغنية غربًا إلى ساحل البحر شمالا، وإلى وادي تافنة شرقًا، ومركزها الحضاري هو مدينة ندرومة.»[2] وأمّا المجموعة الثانية، « فتشمل سكّان منطقة القبائل الشرقية، والتي هي عبارة عن كتلة جبلية ذات شكل مثلّث، يقع في كلّ واحد من رؤوسه الثلاثة مدن القلّ، وميلة، وجِيجلي[3].»

فتباين المنطقتين دفع فليب مارسي إلى دراسة هذه اللهجات وفحصِها من عدة جوانب لغوية.

<u>* على المستوى الصـــوتـــي :</u>

لاحظ أنّ حرف القاف يقلب كافًا في بعض الأحيان كما أنه يقلب إلى الشين وإلى {تش}، ووجد هذه الظاهرة منتشرة بكثرة في منطقة ترارة فكلمة

---

[1] Phillipe Marçais, P 385.

[2] IBID.

[3] IBID.

{ قلب } تصبح { كلب } وكلمة { كلب } تصير { شلب} أو{تشلب}[1]،كما تستبدل حروف ما بين الأسنان: الثاء والضاد والظاء إلى تاء ودال وذال على الترتيب، مثل ثعلب ←تعلب، ضرس← درس(دال مفخمة)، ظُهر ← ذُهر وذلك في لهجة ترارة دائما.

أما صوتي المد المركب (diphtongue) فيتحَولان على النحو التالي: (/ay/→/ī/) مثل لَيْلْ التي تصبح لِيلْ و (/aw/→/ū/). مثل لَوْحْ التي تصبح لُوح، وتعد هذه الظاهرة الصوتية موجودة بكثرة في القبائل الشرقية[2].

*** على المستوى المورفولوجي:**

انتبه ف.مارسي إلى الكثير من التحريفات على المستوى المورفولوجي عند أغلبية قاطنِي المغرب العربي مثل :

- بقاء الحرفين الصحيحين في الفعل المعتلّ الناقص،والنطق بهما.ففي الفعل {نَسِيَ}، نقول «نْسَى»، و«نسَات»، و«نسَوْ»، و«ينْسى»، و«ينساو»[3].

[1] Phillipe Marçais ,P 385

[2] IBID.

[3].IBID.

وفي الفعل {بكى}، نقول: «بكى»، و«بكات»، و «بكاوْ»، و«يَبكي»، و«يبكِوْ»[1].

- حذف الهمزة في الفعل المهموز، فنقول في الفعل بدأ: «بْدِت»، و«بْدَت»، و«بْدَوْ»، و«يَبْدَ»، و«يَبدَوْ»، وفي الفعل أخذ نقول «خُذ»، و«نَخُذ»، و«خْذَت»، و«خْذِت».[2]
- كما لاحظ أنّ معظم اللهجات العربية الجزائرية تُضيف «ـيْن» للدلالة على المثنّى في أسْماء الكيل والوزن مثل « مترين– شبرين – رطلين »[3]
- كما أنّهم يميلون إلى استعمال أسماء التصغير مثل مفيتاح وطفيل وجنِيَنْ[4]
- كما أنّهم لا يميّزون بين المذكّر والمؤنّث في الضمير المنفصل في المخاطب فيقولون : « أنتِنَ ضربت » للمذكّر والمؤنّث مكان أنتَ وأنتِ.
- استعمال { أنَيَا } مكان { أنا }.

---

[1] Phillipe Marçais ,P 385.

[2] IBID, P 386.

[3] IBID.

[4] IBID.

- النطق بالضمّة مكان الضمير المفرد الغائب المتّصل بالحرف مثل «ضربُ» و«ولدُ» مكان ضربَهُ وولَدُهُ.[1]

هذه الظواهر اللغوية مشتركة في كلتا المنطقتين : منطقة القبائل الشرقية ومنطقة جبال ترارة، لكنّ سكّان هاتين الناحيتين يختلفون في أمور أخرى ذكرها لنا فليب مارسي ومنها :[2]

أ) قاطنو الناحية الشرقية لا يجعلون الشدّة على الحرف الأوّل الأصلي في الفعل فيقولون : « يَضَرْبُو» بينما يقول أخوه من ترارة : « يَضَّرْبُو».

ب) في الأسماء العادية المختومة بالتاء المربوطة يقول القبائلي في مثال "رقبتك": رقَبْتَك و يقول الآخر : رقَّبْتَك

ج) يضيف الأوّل إلى الفعل المضارع { كَ } أو { كُ } فيقول «كَيخرج » أو « كُيخرج »، ويبدو أنّ هذا الكاف مأخوذ من الفعل الماضي الناقص "كان" بينما يستعمل الترارِي الفعلَ وحده.

[1] Phillipe Marçais ,.p386.

[2] IBID.

***من الناحيتين النحوية والمعجمية :**

-أداة النكرة في ترارة « وَحْدْ» وفي القبائل الشرقية «حَـــ»[1]

-لا يوجد المضاف إليه عندهم على العموم، ويعبّر عن فكرته باستعمال «دً» أو « ادً» أو« ديال» أو « الً»[2]

-وجود الضمير المتّصل في آخر الأسماء الدالة على العلاقة الأسرية فابن جيجلي يقول «عمّو دي قدُّور» مكان «عمّه قدّور»[3].

من خلال هذه الدراسة، لاحظ فليب مارسي أن المنطقتين تُبقيان على ظواهر لغوية أمازيغية و تدمجها في الكلام، كإدماج النون في أسماء الأبوة في منطقة ترارة كقولهم : «بْبَّايَـنْ فاطْمة»[4] أي "أبو فاطمة"، وكذا إدماج الدال في بعض الاستعمالات في منطقة جيجل كقولهم : «خوه دِ القايد»[5] أي " أخوه القائد".

---

[1] Phillipe Marçais ,P 386.

[2] IBID.

[3] IBID.

[4] IBID.

[5] IBID.

فهذان النوعان من الكلام القروي- الوهراني والقسنطيني أو الغربي والشرقي -، يحتويان على بعض التناقضات فيما بينهما، ولهما نقطٌ مشتركةٌ مع قبيلة جبالة في غرب المغرب الأقصى، والتشابهَ مع جبالة في المغرب أكثر وضوحا مع أهل تزارة في الجزائر منه مع المنطقة القسنطينية.[1] فالمستمع لحديث هذه الجماعات الثلاثة، يُخيَّل إليه أنّهم يتكلّمون بلسانٍ أعجميٍّ، إذ يظهر منه أنّ «الأصوات والتراكيب والمفردات غريبة عن العربية. والحقيقة أن مصدرَ لغتهم عربيٌّ أصيل، والحجّةُ على ذلك استعمال كلمة قديمة " archaïque"[2] مثل < في> بمعنى الفم في نواحي ندرومة.[3].»

ب) لهجات سكّان المدن

قسم فليب مارسي لهجات المدن إلى قسمين: لهجات خاصة بالجالية اليهودية ولهجات المسلمين

[1] Phillipe Marçais ,P 386.

[2]) كلمة قديمة جدًا أُخفي استعمالها نهائيًا.

[3]Phillipe Marçais ,P 386.

1) لهجات الجالية اليهودية :

إنّ يهود الشمال الإفريقي عمومًا، وأبناء ملّتهم في الجزائر خصوصًا، عاشوا في المدن باستثناء جماعةٍ واحدةٍ كانت نصف متنقّلة، عاشت حياة الترحال وهي قبيلة البهوشيّة[1] في نواحي سوق أهراس. تبعثر اليوم أفرادُها في نقط مختلفة من البلاد.

إن كثافة هذه الجالية اليهودية وتماسكها القويّ جعلاها تكوّن مجتمعاتٍ متمايزة، أصبحت كأنّها أجنبية عن الأغلبية المسلمة المحيطة بهم، وهذا ما شاهده فليب مارسي في وهران، وتلمسان، ومليانة، والمديّة، والجزائر العاصمة، وقسنطينة. ورغم أن كلامهم يختلف من مدينة إلى أخرى فإنّ لهم ميزاتٍ مشتركةً تجمعهم[2].

لم يحسن اليهود النطق بأصوات اللغة العربية، ولم يتمكنوا من إتقانها، لاسيّما نساءهم اللائي كنّ لا يُحسنّ النطق بالأصوات الثلاثة التالية:{ الثاء والذال والظاء } فكن يحوّلْنَها تاءً ودالا وضادا على الترتيب. وكان جميع اليهود

---

[1]) ينظر: السابق.

[2]) ينظر: نفسه.

ينطقون التاء تاءا مشوبةً بالسين/ts/ في كل من وهران وتلمسان، ويفسدون النطق بالأصوات الصفيرية والاحتكاكية فنتج عن هذا الإفساد عدمُ التفريق بين الشين والسين من جهة، وبين الجيم و الزاي من جهة أخرى، ويلثغون بحرف الراء في الجزائر العاصمة. كما عُرفوا بعدم القدرة الكاملة على التلفّظ بالأصوات الأقصى حنكية فاشتهروا بقلب القاف الهمزةً في كل من العاصمة، وتلمسان، ووهران (كما عند يهود فاس)، وقلب القاف كافا، وقلب الكاف "تش". وتقليل مقاطع الكلمة التي تجعل المستمع يظنّ أنّه يصغى إلى حديث متوافق، لم تبق فيه إلاّ الحركات الضرورية للنطق بالحروف مثل «يكْتْبُو» مكان يكتبون و«ضَرْبَتُو» مكان ضربَتْه و«رقْبَتي» مكان رَقَبَتي.[1] فالمرفولوجية عربية حقًّا ولها ميزات متشابهة، إن لم نقل مثيلة، بتلك التي ذكرناها في أنواع الكلام القروي، والتي تتعلّق بردّ حركات الإعراب إلى أصلها، وبتقوية الأوزان النحوية والصرفية.

إنّ الفرق بين لهجات الجاليات اليهودية وبين المسلمين يظهر جليا في المجال المعجمي؛ فأغلبية مفردات اليهود عربية إلاّ أنّهم أضافوا إليها عناصرَ

[1] Phillipe Marçais ,P 386.

أجنبيةً. فأخذوا استعاراتٍ إسبانيةً هامّة جاء بها اليهودُ المهاجرون الذين كانوا يتقنون الحديثَ بهذه اللغة خلال القرنين الميلاديَيْن الرابع والخامس عشر= (الثامن والتاسع بعد الهجرة)، ، ثمّ أثناء الفترة الثانية التي كشفت عن العلاقات المستمرّة وغير المنقطعة بين يهود الجزائر ويهود الميناء الإيطالي ليفورن (Livourne)[1] الذين زادوهم نصيبًا آخر من الكلمات الإسبانية.

كما استعملت الجاليات اليهودية المقيمة بالجزائر كلمات تركية كان المسلمون يستعملونها، وأخرى أمازيغية قليلة. وقد لجئوا في المجالين الثقافي والديني إلى استعمال كلماتٍ عِبْريةٍ كثيرةٍ جدًّا؛ لم يكتبوها بالحروف العَرَبية، ولكنّهم اعتمدوا في تسجيل وثائقهم الدينية بالأخص بحروفٍ عِبْرِيَةٍ. غير أنّ هذه العادة أخذت تدريجيًّا في الاضمحلال، وكان دافعُها التقليدَ السريعَ للأوروبيين. وقد ساعد هذا التقليدُ على التفكّك التدريجي لجالياتهم والقضاءِ على انكماشهم في أحياءَ خاصّةٍ بهم. ومن نتائج موقفهم هذا، أنّ أبناء أجيالهم اللاحقة تركوا لهجة

[1] Phillipe Marçais p387.

أجدادهم وأخذوا يتكلّمون باللغة الفرنسية، كما أبدلوا الخطّ العبري المربع بالخط اللاتيني.[1].

2) لهجات المسلمين :

يشكّل مسلمو سكّان المدن بالجزائر أصنافًا بشريّةً كثيرة، وبالتالي أصنافًا لغويةً متعدّدةً. فمنهم من حافظ على استعمال اللغة العربية « التي نُشِرت في الفترة الأولى؛ وهذا في كل من تلمسان وندرومة وشرشال ودلّس وجيجل والقل، بينما لا نلاحظ ذلك الاستعمال في تنس ومليانة والمديّة والبليدة والعاصمة و بجاية وميلة وسكيكدة وقسنطينة، إلاّ عند أجيالها العريقة الضاربة في القدم. ويبدو أن الحفاظ على استعمال اللغة العربية محكوم عليه بالتلاشي. فكافّة المدن الجزائرية العريقة تحمل بصمات جراء التأثيرات الأجنبية التي فَرضت سيطرتَها عليها عبر العصور، ولازالت تلك المدن خاضعة لسيطرتَيْ أهل الجبال والبدو[2]». لقد تجدّد تعمير بعض المراكز السكنية فاستقرّت فيها عناصر من نواحي جبلية. وهذا ما حدث في ندرومة وجيجل، والقلّ. ويمكن القول بأنّ

---

[1] ينظر: السابق، ص388.

[2] ينظر:نفسه.

كلام المراكز المذكورة سيَميل تدريجيًّا حتّى يطابق كلامَ أهل القرى المجاورة. وقد حدث أنّ قبائلَ بدويةً متنقِّلةً أو شبهَ متنقِّلةٍ أحاطت بمدنٍ أخرى، وأجبرت أهاليها على التواصل والتفاهم بكلامهم البدوي، وتمّت هذه الظاهرة « في كلٍّ من تنس، والبليدة، وملیانة، والمدية، والميلة وسكيكدة، وقسنطينة، وعلى الإجمال إذا بقي الكلام في المدن العريقة محتفظًا بالطابع المدني، فإنّ بعض هذه المدن تغلّب عليها الكلام البدوي، واكتسحها كلّيةً مثل ما هو الحال في وهران، ومستغانم، ومعسكر، ومازونة، وعنّابة، وفي أقصى شرق المغرب، في مدينتي طرابلس وبن غازي.أمّا وضعية بجاية، والجزائر العاصمة، وضواحيهما فإنّهما أكثر تعقّدًا. فهما يكوّنان بوتقةً تذوب داخلها ألوانٌ كثيرة من الكلام؛ كلام المدنيّين، وكلام الريفيّين المستقرّين، وكلام ريفيين جدد وكلام بدو، فرضوا على أنفسهم تربّصَ تأقْلُمٍ في منطقتيِ الشلف والمتيجة، ثمّ أسرعوا نحو الاندماج في حياةٍ مدنيةٍ حضريةٍ جلبتهم، رغم أنّها كانت ذات صبغة بْروليطارية(prolétarienne)».[1] وعلاوةً على هذا كلّه، فإنّ منطقة القبائل

[1] Phillipe Marçais p387.

كانت تَكُبُّ في هذا النوع من الحياة موجاتٍ من المهاجرين في تزايدٍ مستمر. وأخيرًا لا بدّ أن ننبّه أن الأمازيغ قد استولوا على بجايةَ العاصمةِ القديمة التي كانت أثناء العصور الوسطى مركزَ إشعاع للحضارة العربية، وجعلوا منها مدينةً ينطق سكّانُها باللغة الأمازيغية.[1]

قام ف مارسي بدراسة لهجات المسلمين على المستوى الصوتي و المورفولوجي والمعجمي

أما على المستوى الصوتي فلاحظ أن« كلام المدنيِّين المسلمين، يتّسمُ بنفس مجموع خصائص كلام القرويين وكلام اليهود، ما عدا أبناءَ تنس، وشرشال، ودلّس، وقسنطينة، القدماء الذين مازالوا محتفظين بنطق أصوات ما بين الأسنان.و أما في المدية والبليدة والعاصمة فيستمع الشخص إلى التلفُّظِ الصافر= spirant، والتلفُّظ الإنسدادي=occlusif. وعبْر كلّ القطر الجزائري باستثناء ملیانة والبليدة، تُنطق التاء مشوبة بالسين أي/ts/ وينطق صوت الجيم / dj/ في كل من تلمسان وتنس وشرشال وملیانة والمديّة والبليدة والعاصمة ودلّس والميلة وقسنطينة، وتنطق /j/ في باقي المناطق. فإذا يجوز أن نستعمل

) ينظر:السابق،ص 387.

العبارة {مرض في النطق} حينئذ نطلقها على لثغ حرف الراء الذي رأيناه في كلام اليهود، وهو متواترٌ في قسنطينة وجيجل وشرشال وتلمسان وندرومة مثل ما هو موجود كذلك في مدينتَيْ تونس وفاس[1].»

وفي تلمسان تقلب القاف همزة وكان ابن خلدون – كما علمناه – يُميِّز، بصفة أساسية، بين كلام البدو وكلام المستقرّين اعتمادًا على النطق بنفس حرف القاف، فالمدني ينطقها قافًا وغيره يُخرجها قافًا أقصى حنكية/g/ وهذه الظاهرة مازالت موجودةً إلى وقتنا الحاضر، وسيزيد في اتّساع نطاقها التوافدُ نحو المدن لِعناصرَ بدويةٍ تستعملُها بشكلٍ طبيعي. وهذا ما نراه اليوم في تنس ومليانة، والمديّة، والميلة، وقسنطينة، وحتّى في العاصمة عينها، ويمكن أن نصادف متكلِّمًا يُخرج الصوتين المختلفين في جملة واحدة كمن يقول : «قُلْتْ لَكْ جِبْ القَرْقَب» فينطق بقاف الفعل قافًا أقصى حنكية/g/ وقاف الاسم قافا أدنى حنكية. وأما صوت الهاء، فغالبًا ما يُحذف فيقال : «رام» مكان «راهم» في تلمسان و«ماعَنْدَ ش» مكان «ما عَنْدْهَا شْ» في ندرومة.[2]

[1] Phillipe Marçais p387.

[2] IBID.

وأما على المستوى المورفولوجي فلاحظ أن الأفعال الناقصة مثل{أخذ} و{أكل} تنطق«خذَا» و«كلاَ».[1] وتُعمّم أوزان جمع الأسماء الرباعية على وزن «صنَادقْ»[2]، والتصغيرَ على وزن «مفِيتَحْ»، وكثرةَ استعمال نوعٍ غريب من تصغير الصفة مثل «كْبِيبَرْ» أي تصغير كلمة كبير و«كْحِيحَلْ» لتصغير كلمة أكحل، وهذا غير موجودٍ في قسنطينة وسكيكدة والميلة.[3]

يُنطق في شرشال وتلمسان بالضمائر المنفصلة للمخاطَبين والغائبين«أنتم» و«هم»: بـــ«نْتُومَانْ» و«هُومَانْ» يقابلهما في المناطق الأخرى «نْتُم» و«هُمْ» أو «نْتُومَا» و«هُومَا». وإذا كانت ندرومة ومستغانم وتنس وبجاية وجيجل والقلّ وسكيكدة والميلة وقسنطينة لا تميِّز بين المذكّر والمؤنّث في الضمائر والأفعال في المخاطَب المفرد فإنّ مليانة وشرشال والمدية والبليدة والعاصمة ودلّس تفرّق بينهما بالاعتماد على استعمال «أنتَ» للرجل و«أنتِ» للمرأة.»[4]

لاحظ فليب مارسي في الفعل الصحيح السالم تغيُّراتٍ هامّةً، فينطق بالفعل ضرب «يَضَّرْبُو» يُسمع في تلمسان وندرومة ومستغانم وتنس ومليانة وشرشال

---

[1]) ينظر:السابق، ص387.

[2]) ينظر: نفسه.

[3]) ينظر: نفسه.

[4])ينظر: نفسه .

والمدية والبليدة والعاصمة ودلس والقلّ، و«إِضَرْبُو» في بجاية وجيجل وسكيكدة وأحيانًا في ضواحي العاصمة، و«يَّضَرْبُو» في الميلة وقسنطينة. و«ضَرْبَاتُو» أي {ضَرَبَتْهُ} في غرب البلاد ووسطه، وأما في شرقه فيقولون «ضِرْبِتُو» كما يقولوها أهل تونس.[1]

في جميع المدن، تطال الضمة الطويلة عن زمنها الطبيعي في جمع أسماء الألوان مثل قولهم «حُومَرْ» أو «حُومْرِينْ» في ندرومة، باستثناء دلّس إذ يقال «حْمُورَ» وفي القلّ والميلة وقسنطينة وسكيكدة يقال «حْمُر» وبهذه الصفة ينطق بها المستقرّون والقرويون التونسيون[2].

« وللدلالة على التبعية أو الملكية، فقليلا ما يلجأ الناس في الجزائر إلى طريقة الإضافة. ففي غالب الأحيان يقومون بطريقة تحليلية تتمثّل في وضع بين للمضاف والمضاف إليه أحد هذه الحروف التي أوجدتها الدارجة { دِ } أو { أدّ } أو { ديال } من تلمسان إلى جيجل، وقد تنافسها { متاع} في قسنطينة و{ نْتاع }

[1] Phillipe Marçais p387.

[2], IBID, p387.,388

في تلمسان ودلّس، وفي القلّ يستعمل الناسُ اسمَ الموصول { الّي } فيقولون: {النّاس الّي اذْ-دَوّار} أي "ناس الدوّار"»[1]

ثانيا- لهجات البدو:

لم يستطع اللسانيون أن يدرسوا لهجات البدو إلاّ بصفة تقريبيّة وناقصة. فحسبهم تشكّل هذه اللهجات كتلةً ذات عناصر مركبة وغير متجانسة. والخطوطُ التي حاولوا رسمها لربط الأماكن التي لها ظواهر لغوية مشتركة تشبكت، ونتج عن هذا التشبّك، في حالة ما إذا أردنا البحثَ عن أوْجُه نظر عامّة، أنّه عند تأويلَ واستنطاقَ هذا التشبّك لابد من إهمال اختلافَات الظواهرِ وإزالة التناقضاتِ العديدةَ.[2]

درس ف مارسي لهجات البدو من ثلاث نواحي:

أ) من ناحية إخراج الأصوات:

لاحظ أن البدو عمومًا يحافظون على نطق أصوات ما بين الأسنان كما في الفصحى، وينطقون صوت التاء بطريقةٍ انسداديةٍ باستثناء سكّان بعض

---

[1])السابق، ص388.

[2]) ينظر نفسه.

الواحات الذين ينطقونها بشكل احتكاكي أي تكون مشوبة بصوت الشين مثل ما هو الحال عند بني عبّاس في الجنوب الغربي، وفي مدينة تقرت في الجنوب الشرقي.[1] كما أنّهم يُجهرون صوت القاف الأقصى حنكي(G). أمّا القاف الأدنى حنكي فإنّه لا يظهر عندهم إلاّ في المصطلحات القانونية والدينية.[2]

ب) من الناحية المورفولوجية :

يحافظ البدو على التراكيب الفعلية والاسمية كما في اللغة العربية الفصحى، ويميزون بين المذكّر والمؤنّث في المفرد المخاطب في الأفعال والضمائر المنفصلة كأن يقال. «ضرَبْتْ» أي أنتَ ضربت و«ضرَبْتِ » أي أنتِ ضربتِ، كما يستعملون بكثرة المثنّى في أسماء الكيل والوزن وأعضاء الجسم المزدوجة.[3]

[1] Phillipe Marçais P 388.

[2] IBID.

[3] IBID.

ج) من ناحية قواعد النحو والمعاجم :

تُعرف لهجات البدو بالتقليل من استعمال أداة النكرة { وَحْدْ الـ }. فالاسم المجرّد يكفي للدلالة على هذه الحالة – النكرة – ثمّ بالرجوع إلى قاعدة المضاف والمضاف إليه، وكذلك بالاعتماد على ألفاظ عربية خالصة أكثر ممّا يستعملها المستقرّون.

ويبدو أنّ هذه المجموعةَ من العلامات البيانية السطحية تكوِّنُ الرصيدَ المشترك لأصناف كلام البدو. وهذه الأصنافُ تشارك كلام المستقرّين في ميزات أخرى كالصوتين المزدوجين{ أيْ } و{ أوْ } أو إدغامهما فتُصبحان { أ } و{ ــو }، وكاستعمالِ كلمة { إدّ } مكان { يَدْ } ولفظة { أمتاع } و{ أنتاع } عدا { إدِ } و{ دّ } و{ ديال } وجمع الأسماء الرباعية على وزن [صناديق] وليس على وزن [صنادق] والتصغيرُ على وزن [مفيتِح] وليس على وزن [مفيتَح] و[طُفيل] و[طْفال] و[طْفِل] وليس [طفيّل] وتضعيفِ الحركة الأصلية الثانية في تصغير الأسماء الثلاثية، مثل ما هو الحال في { شرّف } مكان {شارف } و{ مغبّنة } مكان { مغبونة } وإثباتِ كلمة عشر في أسماء العدد من عدم

أحد عشر إلى تسع عشر. ففي الجنوب الغربي للبلاد، وفي منطقة الشلف، ينطق الناس بـــ { خُمسطَعْش } بينما يتلفّظ بها سكّان المدن بـــ { خمسطاش }[1]

إنّ دماءَ الذين يدينون بالإسلام كثيرة متنوّعة، فمنهم طبعًا الأمازيغي، ومنهم العربي، ومنهم المولّدون من الأمازيغي والعربي، والأندلسي، والتركي. والنتيجة الأولى لهذه الظاهرة أنّ كلامهم يختلف حسب هذه الأصول. فالجماعات التي سكنت تلمسان وندرومة وشرشال ودلّس وجيجل احتفظوا بالدارجة القديمة، ولكنّها اندثرت وقُضيَ عليها في تنس ومليانة والمدية والبيلدة والعاصمة وبجاية وقسنطينة. فكل من هذه المراكز الحضرية حملت بصمات التأثيرات الخارجية التي مرّت عليها، والتأثيرات الداخلية التي تركها فيها سكّانُ المرتفعات والبدوُ الرحّل، وقد تجدّد قاطنو بعضها تجديدًا كليًّا مثل ما حدث في ندرومة وجيجل والقلّ (Collo)[2].

وفي ختام بحثه قال فيليب مارسي أنّه سيتخلّى عن تعريف الطبيعة الحقيقية لمناطق الوصل بين مختلف الأفواج، وعن تحديد الهيمنة الممكنة لنوع من اللهجات على نوع آخر. فقد اشتدّ التداخل بين الظواهر اللغوية في كلّ أوبٍ

[1] Phillipe Marçais p388.

[2] IBID.

وصوبٍ، غير أنّه يبقى علينا أن نقول : << أنّ لهجات بني سليم قد استطاعت عبر العصور أن تمتدّ وتتّسع على حساب لهجات الفوجين: بني هلال وبني معقل >> وسبب ذلك هو، قبل كلّ شيء، التفوّق السياسي الذي تمتّع به أفراد ذلك الفوج وهم، بحصر المعنى، رعاة متنقّلون، عشّاق للحرب، جرت فيهم مبادئ السيطرة مجرى الدم في العروق، وهم واقفون أمام مزارعين صغار، لا هم من المستقرّين، ولا هم من المتنقّلين. وكذلك فإنّ بني هلال قد تعدّوا، بقدر كاف من القوّة، على مجال النواحي الغربية القسنطينية التي يسكن فيها المدنيون. وهذا ما يُفسِّر وجودَ ظواهر لهجات أهل الحضر التي برزت في بيئة بدوية.[1]

بقيت تلك الظواهر تشهد على ذلك بعد طمس كلام المستقرّين، وبالعكس لوحظ، في زمن قريب منّا، ليس فقط إيقافُ الانتشار اللغوي البدوي الناتجُ عن تراجعِ الحياة الرعوية، وتقليصِ مساحتها الجغرافية وحتّى إخفاءها في بعض

[1] ينظر :السابق،390.

النواحي، بل لوحظ استيلاءٌ من جديد للهجة المدنيين لاسيّما على سكّان المناطق الشمالية.[1]

ومع أنّ كلّ تخمينٍ في شأن المستقبل قد ينتهي بنا إلى هفوات وأخطاء، فإنّا نميلُ إلى الظنّ أنّ التغيُّراتِ الاجتماعيةَ التي يشعر بنتائجها، يوميًّا، الجزائريون الناطقون باللغة العربية قد تجعل باستطاعة هؤلاء، دفعَ لسانهم الذي يتخاطبون به في اتّجاهات جديدة وفي بلادهم الذي عاشوا فيه، طيلة آلاف السنين، ولازالوا يعيشون فيه. فمدنُهم القلّيلة المحيطة بأسوار تُغلق أبوابها عند الشفق، كأنّها أجسامٌ أجنبيةٌ رصّعت في عالَمٍ ريفيٍّ ورعويٍّ، منعدمِ النظام، ومركّبٍ من عناصرَ مختلفةٍ حتّى صارت بعض مدن الجزائر – القديمة منها والعصرية – مراكزَ مأهولةً إلى أقصى حدٍّ. فأصبحت كلُّها منبعَ نشاطٍ اقتصادي، وتحوّلت إلى كعبةِ القصّاد، وأسواقِ توفير العمل، وموزّعةِ مصادر الحصول على الخبز اليومي لمن يبحث عنه، وربّما يجب أن نضيف فكرة أنّ هذه المدن أضحت بوتقاتٍ تُحضَّر فيها لغةٌ عربيةٌ جزائريةٌ مشتركة بين عدّة

[1] Phillipe Marçais . P390.

شرائح السكّان، مع العلم أنّ لكلّ شريحة لهجتَها الخاصّةَ بها. فيظلُّ في إمكان هذه اللغة المشتركة تدميرَ وتقويض أنواع الكلام القديمة الجهوية.

خاتمة

وبعد هذه الدراسة لموضوع:" **نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات العربية والإستشراقية**"، توصلنا إلى جملة من النتائج نورد أهمّها فيما يلي:

1- أثر البيئة في لقاء الجنس البشري ببعضه البعض، وفي نشأة لهجات مختلفة، وما للموقع الجغرافي من أثر فعّال في التنوّع اللهجي؛ فقد تعاقب على الجزائر عدّة أجناس، ونتج عن هذا التوافد تأثّرٌ وتأثيرٌ بين الجانبين: الأهالي والقادمين.

2- لم تعرف الوضعية اللغوية في الجزائر استقرارًا، فقد غلب عليها طابع الديغلوسيا وذلك من خلال توظيف المتكلّمين لصنفين من اللغة العربية وهما: اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية الجزائرية. فالمتحدّثون حتّى وإن استعملوا بعض الكلمات الأجنبية الدخيلة في كلامهم فهم يوظّفونها في قالبٍ عربيٍّ.

3- ترجع ظاهرة الإبدال اللغوي في أصولها وجذورها إلى اللهجات العربية القديمة. ومن الأمور التي انتبه إليها المهتمون بالدراسات اللغوية، أنّ

اللهجات العامية الجزائرية، تشترك مع اللهجات العربية القديمة في كثير من الظواهر والخصائص الصوتية والدلالية.

4- إن الرصيد اللغوي الجزائري ما هو إلاّ امتداد للهجات عربية قديمة، وما يؤكد ذلك الصلات القديمة التي كانت قائمة بين القبائل الليبية العريقة وسكّان شبه الجزيرة العربية من خلال الهجرات البشرية التي انطلقت من اليمن؛ فقد وضّح بعض الدارسين من مؤرّخين ولسانيين أنّ الهجرات اليمنية حدثت في فترات زمنية متعاقبة، وقامت بها جماعات ارتفع أو انخفض عدد أفرادها حسب الظروف الدافعة إليها. واستنتجوا أنّ تلك الهجرات المتتالية هي التي أدّت إلى تكوُّن اللغة العربية في الجزائر في وقت مبكّر، وبكيفيةٍ تدريجيةٍ.

5-يَعُدُّ بعض العلماء أن عددًا من القبائل الأمازيغية تنتمي إلى الأصل العربي مثل قبيلتَيْ صنهاجة وكتامة اللتين هما من فرع البرانيس. وقد عدّهما نسّابة العرب من عرب اليمن وأوصلوا أصلهم الأوّل إلى حِمير. وقد أنكر النسّابون البرابرة أنفسُهم الأصلَ البربري لقبيلة زناتة، وألحقوها بالسلالة العربية المُضَرية.

وتقدمت طائفة أخرى من المفكّرين بنظريات أخرى، ربطت بعض القبائل كلُواتة وهوّارة وغيرهما بالأصل العربي. وهذا – في نظرهم–سبب يفسِّر اندماج الأمازيغ في العرب بكلّ سهولة، واكتسابهم اللسان العربي بكلّ يسرٍ.

6–كان سكّان بعض الجهات من الجزائر يستعملون بعض المفردات العربية التي ورثوها من جدودهم القادمين من اليمن ومن الحجاز، قبل ميلاد سيّدنا عيسى (υ) فكان هذا كلُّه سببًا في سهولة قبول البربر للسان العربي، ونشوء اللهجات المحلية الإقليمية كما ذكرناه في البحث.

7– يرى بعض الباحثين العرب أنّ الفتح الإسلامي كان بداية ظهور اللهجات في المغرب العربي. ويرى ابن خلدون أن هذه اللهجات نشأت عند اختلاط الأمازيغ مع العرب، ولكن الأمازيغ أفسدوا فصاحة اللغة العربية وأصبغوا على اللسان العربي القالب البربري مهملين الطابع العربي.

8– ورأت جماعة أخرى أن قدوم قبائل بني هلال وبني سليم وبني معقل، رغم الطريقة السلبية في اكتساحهم المغرب العربي وانتشارهم داخله، كان له دور كبير وإيجابي في تثبيت اللغة العربية، بمختلف لَهجاتها في منطقة شمال إفريقيا.

9- وأما المستشرقين فدرسوا الواقع اللهجي الجزائري ليروِّجوا للغة العامية واللهجات المحلية لتكون لغة التخاطب والكتابة والآداب والمعاملات، وذلك من أجل إضعاف اللغة العربية الفصحى وإهمالها. وكانت دعوتَهم إلى العامية وتشجيعَهم على الاهتمام بها تمتدُّ جذوره في الماضي البعيد والقريب.

10- لقد لعب المستشرقون دورًا بالغَ الخطورة، فقد أدركوا – مع رجال الكنيسة – الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي، وتيقّنوا أنّ الإسلام لا يُفهَم إلاّ بها، وأنّها ركنٌ جوهريٌّ من القرآن الكريم. فبذلوا النفس والنفيس لإضعافها، ثمّ القضاء عليها نهائيًّا، وذلك كلّه لإبعاد المسلمين عنها.

11-انكبّ المستشرقون على دراسة اللهجات العربية، وتخصّص الفرنسيون منهم في التدقيق في دراسة اللهجات العربية لسكّان المغرب العربي الكبير عامّة ولهجات الجزائر خاصّةً. فسلّطوا عليها الأضواء، وتعمّقوا في كلّ جوانبها، ودرسوا ظواهرها وخصائصها اللغوية، بما فيها الدراسات الصوتية والدلالية والصرفية والنحوية، واستنتجوا آراء حول نشأة المنطوق الجزائري العربي ، واتّفق معظمُهم على أنّ هذا المنطوق ظهر خلال فترتين:

أ- حدثت الفترة الأولى إثر الفتوحات الإسلامية، وخاصّة بعد تشييد المدن مثل القيروان وفاس، وبعد أن انتبه قادة الفتح- الغزاة في نظرهم- إلى أهمية المدن المحليّة العريقة كقسنطينة وتلمسان وندرومة وغيرها في تعريب الجزائر.

ب- بدأت المرحلة الثانية بعد الهجرة الكبيرة التي اكتسحت شمال إفريقيا، وقد وصف المستشرقون القائمين بها بالوحوش والهمجيين، ولكنّهم تجاهلوا النتائج اللغوية، التي تمثلت في ترسيخ اللغة العربية وتعميمها على مستوى القطر، وهذا ما سجّله الباحثون العرب.

وفي الختام، نقول إنّ نشأة اللهجات المغاربية عامّةً، والجزائرية خاصّة، يكتنفهما غموض شديد، هو نفس الغموض الذي يُحيط بنشأة اللغة عمومًا، إذ تعتبر اللهجة ثمرة طبيعية لتوزّع اللغة عبر الزمن. فهي عبارة عن مرآة تعكس عراقتها، وصلتها القوية والطويلة بالشعوب التي أحبّها الأهالي، والتي تعاقبت على شمال إفريقيا على مرّ التاريخ.

وأخيرا نأمل أن نكون بهذه الدراسة قد أضفنا جديدا في حقل الدراسات اللهجية، وعلى الرغم من اجتهادنا وحرصنا البليغ على الإلمام بشتّى جوانب هذا

الموضوع، تبقى هناك جوانب أخرى قد فاتتنا وذلك لشساعة مادّته، وكذلك لانعدام الوثائق التاريخية التي تحفظ لنا مدوّنات اللهجة التي من شأنها أن تعطينا نتائج علمية أكثر دقة.

وختاما نسأل الله عزّ وجلّ أن يلهمنا السداد والتوفيق.

﴿وَ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾

المصادر والمراجع

أولا:المصادر:

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، برواية حفص، عن عاصم.

- ابن جني

سر صناعة الإعراب" – الجزء الأول – مخطوط مكتبة الأزهر المصرية للغة، دار الكتاب –د ط ١٣٧٤ هـ/1954 م.

- ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون–دار المعارف، مصر 1962، د.ط.

- ابن خلدون

-المقدمة ، الطبعة الأولى لمالكها عمر حسين الخشاب، د ت.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1،6، 7 – مؤسّسة جمال للطبع و النشر بيروت– م1979=1400هـ، د ط.

- ابن دريد

جمهرة اللغة – دار صادر – بيروت – د ط، د ت.

- ابن السكيت:

كتاب الإبدال، الهيئة العامة لشؤون المطابع القاهرة–تحقيق د. حسين محمد الشرف،د ط،1978.

- ابن عبد البر عمر يوسف القرطبي

القصد و الأمم في التعريف بأصول و أنساب العرب و العجم"- مكتبة القدس- القاهرة، د ط، 1350 هـ

-اسرائيل ولفنسون

تاريخ اللغات السامية دار القلم، بيروت، لبنان،- ط 1 - 1991.

- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق الأستاذين، طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى الحلبي، ط.1 -1963.

- أبو منصور الجواليقي

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" - تحقيق أحمد محمد شاكر - مطبعة الكتب، دار الكتب - الطبعة الثانية، 1969.

أحمد بن واضح اليعقوبي

كتاب البلدان ،السلسلة الجغرافية،دار إحياء التراث العربي، ط1، 1998.

- سيبويه

الكتاب-ج2 ، تحقيق أ عبد السلام هارون، طبعة دار القلم، د.ط 1917/1916م

- سيد قطب

في ضلال القرآن، المجلد 6 دار الطبع دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية الأولى 1972 م، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون، 1417هـ=1996،

- شهاب الدين الخفاجي

شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، د.ط، 1952.

-عبد الرحمن جلال الدين السيوطي

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنونه موضوعاته محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل،بيروت، لبنان، دط، دت.

ثانيا:المراجع:

I-العربية:

- إبراهيم أنيس

-**اللهجات العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ،الطبعة التاسعة، 1995.

-**من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي،ط2،دت.

-**الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1971،3.

- إبراهيم السامرائي

التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط2، 1981.

- أبو القاسم سعد الله

-أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر" - ش.و.ن.ت. الجزائر،د.ط،1978.

-تاريخ الجزائر الثقافي لفترتي 1500 إلى 1830، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، 1998.

- أحمد رضا

" **قاموس رد العامي إلى الفصيح** " - دار الرائد العربي بيروت 1981م - ط2

- أحمد سوسة

تاريخ حضارة وادي الرافدين دار الحرية للطباعة - بغداد،د ط- 1983 م.

- أحمد عبد الرحمن حمّاد

الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية- دار المعرفة الجامعية -الإسكندرية- الطبعة الأولى - د.ت.

- أحمد علم الدين الجندي

اللهجات العربية في التراث - القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس،دط، 1398هـ-1978م.

- بن عيسى التجيني

مدخل إلى علم اللهجات المقارن – دراسة مقارنة للأصوات لهجة تلمسان، نموذجًا دط، دت.

- تمام حسان

اللغة العربية بين المعيارية والوصفية – مطبعة الرسالة،د.ط، د.ت.

- حلمي خليل

المولود دراسة في نمو تطور اللغة العربية في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الأسكندرية ،د.ط، د.ت.

- خليفة بن عمارة

لمحة تاريخية عن الجنوب الغربي الجزائري الأعلى، ج1، ترجمة بوداود عمير، ،مكتبة جودي مسعود، النعامة-الجزائر، دط، دت.

- رشيد الناضوري

المغرب الكبير -1-**العصور القديمة**، دار النهضة العربية بيروت لبنان ،د ط، 1998.

_ رفائيل نخلة اليسوعي

غرائب اللغة العربية، بيروت، د ط- 1960 م

-رمضان عبد التوّاب

-**فصول في فقه اللغة**، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع- الطبعة الثالثة-

1987م =1416

-**لحن العامة والتطور اللغوي**، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،ط2، 2000.

- سليمان توفيق

أسطورة النظرية السامية، ج1، دار دمشق، دط ،1982.

- عبده الراجحي

اللهجات العربية في القراءات القرآنية" ، دار المعارف، د ط،1969م.

- عبد الرحمن الجيلالي

تاريخ الجزائر العامّ، ج2، مطبعة دار الثقافة ، بيروت،د.ط، 1982م 1412هـ

- عبد الغفار حامد هلال

اللهجات العربية نشأة و تطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1418هـ،1998م.

- عبد الكريم بكري

فصول في اللغة والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، ، وهران، د ط ،1997.

- عبد المنعم سيّد عبد العال

معجم شمال المغرب: تطوان و ما حولها، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ، د.ط،1968م

- عثمان سعدي

الأمازيغ "البربر"عرب عاربة، دط، 1996.

- عثمان الكعاك

موجزالتاريخ العام للجزائر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 2003،

- علي عبد الواقي

اللغة والمجتمع – دار النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

- فليب حتي

لبنان في التاريخ، مؤسسة فرنكلين، د.ط،– 1959.

- مبارك الميلي

تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج 1، مكتبة النهضةالجزائرية، مطابع أبدران وشركاه، بيروت، دط،1963

- محمد بن عمر الطمار

تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة و حضارة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د ط ، 1984.

- محمد المختار العرباوي

البربر عرب قدامى،المجلس القومي للثقافة العربية،الرباط–المملكة المغربية،ط1 ،1993

-محمد الصغير غانم

-**المملكة النوميدية والحضارة البونية**،دار الهدى، عين ميلة الجزائر، دط، 2006.

-**التوسّع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسّط**، دار الهدى، عين مليلة،د.ط 2003.

- محمّد الطمّار

الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ،رقم النشر 81/971، د ط،1983

- مُحمّد عبيد

المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات في النثر والشعر،دار الثقافة العربية للطباعة دط، د ت.

- محمد علي دبوز

تاريخ المغر الكبير ج1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1984

- محمد الهادي حارش

دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، د ط،2001.

- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر

القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر، د.ط، 1982.

- يحي بوعزيز

الموجز في تاريخ الجزائر- الجزء الأول- الجزائر القديمة والوسيطة"، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر، ط2، 1995.

II-المترجمة من الفرنسية إلى العربية:

- ألفرد بل

الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 ،1987.

- غسطاف لوبون

حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة الرابعة 1384هـ=1964م.

III-الأجنبية:

الفرنسية:

1 Brunet. E- **Continuité et discontinuité en sciences du langage, la place du sujet depuis De Sausure-** Imprimerie impériale –Paris

2 Caudet. D – **Trames de langues- Dialectologie et histoire au Maghreb pour une sociolinguistique historique-** Edition Maisonneuve et Larose- Paris -2004

3 .Chabot J.B – " **Recueil des inscriptions libyques**" – Paris – 1940

4 .Elimam. A- Le Maghribi alias "Ed-Daridja", la langue consensuelle du Maghreb- Edition El-Gharb -2003.

5 Encyclopédie Universalis – Paris- 1985

6 Galand.L- **Langue et littérature berbères**- C.N.R.S – Paris-1979.

7 Gautier. F.E – **Le passé de l'Afrique du nord (Les siècles obscurs)**--Edition Payot – Paris- 1952.

8 Julien.Ch.A- **Histoire de l'Afrique du nord** –Edition Payot – Paris-1931.

9 Kaddache.M- **L'Algérie dans l'antiquité** – Alger S.N.E.D-1972

10 Marçais Phillipe, **Algérie (langue)-T1**- Encyclopédie de l'Islam - Edition Maisonneuve et Larose- Paris- 1975.

11 Marçais W- **Comment l'Afrique du nord a été arabisée** –Faculté d'Alger –Edition Adrien Maisonneuve.

13 Marcy.G- **Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du nord** - Imprimerie nationale –Paris- 1936.

14 Méouk. M –**Langue, société et histoire d'Alger au 18° siècle d'après Venture de Paradis** – extrait du livre Trames de langues au maghreb -Edition Maisonneuve et Larose- Paris- 2004.

15 Modet.J – **Le guide bleu (ALGERIE)** –Edition Hachette-Paris

16 Mounin G- - **Dictionnaire linguistique** (sous sa direction) Edition P.U.F –Paris-1974

17 Robin (le colonel) **L'insurrection de la grande Kabylie** – Edition H.Ch.Lavauzelle – Paris- 1901.

18 SALEM CHAKER: **le berbére,une langue vivante à la croisée des échanges méditerranées**,paris,sorbonne,2003.

الإنجليزية:

1 Fergusson CA .T2 –**Diglossia**-Cambridge university press 1959

2 Richards, Jacques and Al -- **Longman dictionary of applied linguistics**-Longman-England.1989

3 Trudgill,peter, ,**Sociolinguistics-An introduction to language and society**-pelican books,England.1983.

IV-المعاجم:

- ابن منظور الإفريقي المصري

لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر بيروت، ط3 ،2004 .

V-قائمة الرسائل الجامعية

1 الإبدال في اللغة العربية مظاهره وعوامله وأثره في تنمية اللغة وتفسيرها

- رسالة ماجيستير للطالب طالبي محمد عبد الحفيظ - جامعة حلب- 1990م

2 الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية -مذكرة ماجيستير للطالب فريد داودي- جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان 2000م

3 دراسة صوتية ودلالية للدخيل الاسباني في لهجة بني صاف مذكرة ماجيستير للطالب شامي عبد الكريم - إشراف أ.د رشيد بن مالك- جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان2001م

4 المعرب اللفظي وطرق تحقيقه في اللهجات القديمة و الحديثة- مذكرة ماجيستير للطالبة صديقي ليلى - إشراف أ.د الزبير دراقي- جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان2001م

5 **المصطلح في علم اللهجات**-دراسة إحصائية- مذكرة ماجيستير للطالب هتهوت محمد،إشراف الأستاذ الدكتور التيجيني بن عيسى،2005-2006

VI-قائمة المجلات باللغة العربية:

1 محمد طالبي، **الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين**- مجلة الأصالة

– العدد.26– رجب/شعبان1395هـ..= جويلية/أوت.1975م.ص46–83.

2 مفدي زكريا، **النشاط الفكري والتقدم الحضري في الجزائر في عهد الزيانيين**، مجلة الأصالة، العدد 26، رجب/شعبان..1395هـ. = جويلية/أوت.1975م.ص164–182.

3 المهدي بو عبدلي، **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ** –مجلة الأصالة.– العدد.29/.30– السنة الخامسة– محرم/صفر1396هـ= جانفي/فيفري 1976م ص124–135.

4 مولاي بالحميسي، **نهاية دولة بني زيان**، مجلة الأصالة–قسنطينة: العدد 26 – جويلية 1975، ص29– 30.

5 نصر الدين سعدون،**أثر العامل الجغرافي في نشأة اللهجات**، مجلة شمعة العربي الموحد، جدة، نوفمبر 2005، ص15

VII– قائمة الجرائد اليومية و المجلات الشهرية باللغة الفرنسية:

1 – Adolphe Jourdain, **Un chant Algérien**, La revue Africaine- Vol 3- - Bulletin des travaux de la société historique Algérienne de E. Fagnan P332–336. Année1893

– ...

2 Djillali Sari extrait du livre **L'Algérie des origines** Quotidien d'Oran du11 /.03./2007-page 11..-

VIII- مواقع الأنترنات

1 الاستشراق مركز المدينة المنوّرة لدراسات و بحوث الاستشراق

http//mrs.8k.com/oriental

2 شعر العامية بين الموهبة و الدلالية – تقديم عبد الرحمن الفريج

www.open.university. Edu. Programs

3 الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية و التاريخية تقديم محمّد علي عيسى أستاذ الأثار و الحضارات القديمة – كلية الآداب – جامعة الفتح

www. Histoire. Com

4 مناهج الدرس اللغوي و جهود علماء الأصوات العرب تقديم الدكتور مروان عطية www. Al-sharg.co

5 ما ذا قالوا عند حائل – ج1 – منتديات ديوان شمر- تقديم عبد الرحمن الفريج

www.altanya.net

6 شعر العامية بين الموهبة و الدلالة العلمية – تقديم عبد الرحمن الفريج

www.open- university. Edu/ programs

7 منتديات بوّابة العرب– منتديات التربية و التعليم و اللغات – منتدى ثقافة العامّة – عنوان المقالة : الاستشراق– تقديم فارس الإسكندراني

Htt://vb. Arabsgate.com

8

Les dialectes arabes des régions sud, centre et est du Yémen

http : //cy/ revue. Org

9 Travels or observations relating to several parts of barbarie and the levent

Htt : //books google.com by louis mayeul

فهرس الموضوعات

مـــقدمة..... أ
مـــدخل: أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين العرب والأوروبيين 14

1- مفهوم العامية..... 15
2-مفهوم الدارجة..... 16
3-مفهوم المنطوق..... 16
4-مفهوم اللهجة..... 17
5-مفهوم علم اللهجات..... 21
6-عوامل نشأة اللهجات..... 24
أ-العامل الجغرافي 25
ب-العامل الاجتماعي 29
ج-الاتصال البشري..... 30
7-أهمية الدرس اللهجي عند اللغويين العرب والأوروبين..... 34
الفصل الأول:اتصال الجزائر بمختلف الشعوب وأثره في نشوء وضعية لغوية مميزة 41

1-أصل سكان شمال إفريقيا(الجزائر)..... 42
1.1-تمهيد..... 42
2.1-أصل الأمازيغ..... 43
2-اتصال الجزائر بمختلف الشعوب..... 50
1.2-اتصال الأمازيغ بالفينيقيين..... 52
2.2- اتصال الأمازيغ بالرومان..... 56
3.2- اتصال الأمازيغ بالوندال والبيزنطين..... 62

4.2- اتصال الأمازيغ بالعرب الفاتحين..... 67
3-الوضعية اللغوية في الجزائر..... 69
1.3-الإنتقال اللغوي الفوري..... 81
2.3-الديغلوسيا..... 82
الفصل الثاني: نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات العربية 85
1-تمهيد..... 86
2- ارتباط اللهجات العربية القديمة باللهجات العربية الحديثة..... 87
3- بعض ظواهر الإبدال في اللهجة الجزائرية..... 96
أ- إبدال حروف العلّة بالهمزة..... 96
ب- إبدال القاف همزة..... 97
ج- إبدال القاف إلى جيم سامية أو كاف فارسية (الكَاف)..... 98
د- الإبدال بين الضاد و الطاء و الدال..... 100
هـ- الإبدال بين الطاء والتاء..... 102
و- الإبدال بين الذال والدال..... 103
ز- الإبدال بين الدال والتاء..... 103
ح- الإبدال بين السين والصاد..... 105
ط- الإبدال بين اللام والنون..... 107
ي- الإبدال بين الأصوات الصامتة واللينة..... 108
4-نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات العربية..... 112
1.4-تمهيد..... 112
2.4- نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر مختار العرباوي... 113
3.4-نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر ابن خلدون 130

الفصل الثالث: نشأة المنطوق الجزائري العربي من خلال الكتابات

الإستشراقية..... 151

1- تعريف الإستشراق..... 152
2-. نبذة عن حياة بعض المستشرقين..... 160
3- دراسة الواقع اللساني واللهجي للجزائر من قبل المستشرق فنتور دي

باردي في القرن 17م..... 166

4- نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر وليام مارسي..... 179
5 - نشأة المنطوق الجزائري العربي من وجهة نظر فيليب مارسي..... 198
أولا- لهجات ما قبل الهلاليين..... 200

أ)-لهجات سكّان القرى..... 201
1-على المستوى الصوتي..... 201
2-على المستوى المورفولوجي..... 202
3- من الناحيتين النحوية والمعجمية..... 205
ب)- لهجات سكّان المدن..... 206

1- لهجات الجالية اليهودية..... 207
2-لهجات المسلمين..... 210
ثانيا- لهجات البدو..... 216

أ) من ناحية إخراج الأصوات..... 216

ب) من الناحية المرفولوجية..... 217

ج) من ناحية قواعد النحو والمعاجم..... 218

خاتمة..... 224

قائمة المصادر والمراجع..... 231

فهرس الموضوعات..... 247

Résumé de la thése

J'ai choisi et décidé finalement de traiter le sujet concernant les divers dialectes algériens arabes en me soumettant à la méthode propre de la dialectologie dont j'ai montré l'importance que lui témoignaient les Anciens. Ces derniers l'ont étudiée, minutieusement, sous tous les aspects phonétique, syntaxique, morphologique et lexical. Ils ont examiné, de la façon la plus précise, tous les cas de dialectologie, ont octroyé à chaque cas un terme spécifique telle «El-'An'anah» qui consister à changer la lettre ع pour la lettre أ et «El-Kachkachah» qui entraîne le changement de la lettre ك en ش mais ils ont insisté, en particulier et surtout, sur les changements opérés sur les sons.

J'ai, dans le cadre de la naissance des dialectes, pris en considération le contact des êtres humains entre eux, leur assimilation les uns dans les autres et les milieux où ils ont évolué. J'ai jeté un regard sur la situation géographique d'un pays et me suis rendu compte que ce paramètre est une référence qui tient un rôle effectif de taille, dans la dissemblance des dialectes. Plusieurs nations ont foulé le sol de notre chère patrie à cause, justement, de sa position géographique et cette fusion entre les autochtones et les nouveaux venus a entraîné des influences mutuelles.

Résumé de la thése

Tout le monde des experts en la matière sait que l'état sociolinguistique, dans notre pays n'a pas connu de stabilité dans le domaine de la langue sous l'influence soit de circonstances historiques soit à la suite de décisions politiques. Le fait qu'un groupe de personnes parlent deux langues dont l'une jouit d'un statut supérieur à celui de l'autre, ce fait appelé diglossie est une habitude courante, chez nous. En effet, toutes mes concitoyennes et tous mes concitoyens usent de la langue arabe classique ou littéraire et de l'un divers dialectes arabes algériens. Les Algériens sont dotés de cette faculté de donner, à un mot étranger à leur langue, le cachet arabe.

J'ai pris note des points de vue d'un nombre de linguistes et historiens arabes. Ils sont persuadés qu'une grande partie de la richesse lexicale que notre nation a héritée et à laquelle elle a conféré l'empreinte locale ne peut être que l'emploi de dialectes arabes anciens. Ils fondent leur hypothèse sur les anciennes relations entre les tribus libyennes et les habitants de la péninsule arabique. Ces mêmes intellectuels ont évoqué, dans leurs travaux, les immigrations des aborigènes du Yémen vers d'autres horizons. Ils ont été contraints d'étudier l'Histoire de ce pays en se basant, entre autres, sur les inscriptions gravées sur les roches que les antiques Yéménites

ont léguées à la postérité. Ces chercheurs nous ont précisé que cette immigration n'était point l'œuvre de tribus entières, mais c'étaient des vagues de personnes dont le nombre a augmenté ou diminué selon les conjonctures et sous forme de vagues successives et ont conclu, à partir cette réalité historique, que ces déplacements humains ininterrompus ont participé à l'établissement précoce et graduel de la langue arabe chez nous.

J'ai également marqué un arrêt devant les spécialistes qui ont étudié certaines caractéristiques linguistiques particulières aux dialectes comme le changement d'une lettre par une autre. L'origine de cette spécificité remonte aux dialectes arabes anciens.

J'ai noté que certains généalogistes arabes ont attribué à des tribus berbères, classées dans le clan des Barânès, une origine arabo yéménite comme les Sanhâdjah et les Koutâmah. Ils les font descendre de l'aïeul Himyar. De leur côté, les savants en généalogie amazighs rejettent l'origine berbère de la tribu de Zénata et affirment que cette dernière est arabe et fait partie intégrante de la lignée de Moudhar. Un troisième groupe de scientifiques a fait intégrer des tribus, habitant à présent l'Afrique du Nord, à la même ascendance arabe, telles les Louata, les Houwârah et autres et explique ainsi la facilité

de l'intégration des Berbères dans l'ethnie arabe et leur acquisition rapide de la langue d'Imrouqou El-Qaïsse. D'autre part, des chercheurs arabes ont reconnu que l'arrivée, au grand Maghreb, des trois tribus bédouines arabes, les banî Hilâl, Soulaïme et Ma'qal était brutale. En dépit, cependant, de cette information historique, ces tribus, affirment ces chercheurs, ont largement contribué à l'implantation de la langue arabe avec ses différents dialectes dans notre région.

Les linguistes ont particulièrement insisté et répété sans cesse que les dialectes populaires algériens ont, en commun avec ceux que les Arabes utilisaient pendant l'antiquité, des propriétés phonétiques et lexicales. Cette hypothèse justifie le fait que les habitants de quelques régions de l'Algérie emploient, à ce jour, certains mots arabes «importés» par leurs ancêtres qui avaient émigré du Yémen et du Hidjâz, bien avant la naissance de Jésus-Christ (B.S.D.L). C'est là, l'un des motifs qui ont facilité l'acceptation de la langue arabe par la gent berbère et ont permis la naissance des dialectes régionaux.

J'ai, avec toute la modestie d'usage, examiné attentivement et lu «entre les lignes» les différents écrits des orientalistes qui ont étudié la situation linguistique des Algériens. Ces savants et érudits – d'un genre bien spécial- ont

encouragé et incité les gens au recours à la langue dialectale et autres dialectes locaux pour en faire le moyen de la communication, de l'expression littéraire écrite et des relations sociales. C'était l'un des subterfuges dont le but inavoué consistait à affaiblir la langue arabe classique ou littéraire et à la négliger. Leur exhortation à l'usage de la langue dialectale et l'importance qu'ils accordent à cette dernière ne sont pas récentes mais datent du passé lointain et proche. Ils ont, avec les hauts cadres de l'Eglise Chrétienne, touché du doigt le lien très étroit qui unit la langue arabe classique et la religion musulmane. Elle est, en effet, le premier canal de la compréhension de l'Islam et le pilier essentiel pour l'intelligence du Coran. Aussi ont-ils fourni et consenti les plus gros des sacrifices en vue de diminuer de l'importance de cette langue, d'en éloigner les Musulmans et de la bannir à tout jamais.

Les orientalistes se sont attelés à l'étude des dialectes arabes, les Français parmi eux, se sont adonnés à la recherche très précise dans les dialectes arabes utilisés par les populations du grand Maghreb, en général et ceux des Algériens en particulier. Ils ont projeté sur ces dialectes toute la lumière, en ont approfondi tous les aspects, analysé tous les cas, examiné toutes les particularités phonétiques, lexicales,

syntaxiques et grammaticales et se sont construits des avis sur la naissance du parler arabe algérien.

Les membres de leur grande majorité ont été d'accord pour affirmer que ce parler algérien est apparu au cours de deux périodes. La première fut la conséquence de la première vague des porteurs de l'Islam et particulièrement par l'édification des villes forteresses comme Kairouan et Fès d'une part et d'autre part, après que les responsables des nouveaux venus se soient rendus compte de l'intérêt à tirer des cités antiques du pays telles que Constantine, Tlemcen et Nédromah.

La deuxième période débute avec l'immigration des tribus bédouines arabes que les orientalistes ont taxées de bêtes sauvages et de barbares qui ne possèdent rien d'humain. Il est vrai que ces bédouins n'étaient pas des anges mais de là à les considérer comme des animaux, le pas est difficile à franchir. Ce qu'il est bon de remarquer c'est que «ces seigneurs de la culture et de la civilisation» ont fermé les yeux, volontairement peut-être, involontairement peut-être, sur les suites linguistiques de ces immigrants. Celles-ci ont permis l'implantation définitive de notre parler et sa généralisation sur tout le territoire national. Ces deux phénomènes furent la conclusion à laquelle aboutirent les chercheurs arabes. De

guerre lasse, les orientalistes publièrent cette proclamation qui attriste et fait sourire en même temps : ils affirmèrent que la langue arabe a été imposée aux autochtones, que ces derniers l'ont apprise sous la menace, qu'ils ont consciemment fait perdre à la langue du Coran son éloquence, qu'ils ont en dégradé le cachet en faveur de la marque berbère.

Je dois reconnaître, à la fin de ma conclusion, que la naissance des dialectes du grand Maghreb en général et ceux de Maghreb central en particulier est enveloppée d'un voile vague et épais, en sachant que c'est le même sorte de rideau qui dissimule l'apparition de la langue. Soulignons que les dialectes sont les fruits naturels de la répartition de la langue à travers le temps et l'espace. Les dits dialectes représentent le récipient de la civilisation et de la culture de notre société. Ils sont comme un miroir qui reflète leur ancienneté et leurs liens étroits et puissants avec les différents peuples auxquels les Algériens ont offert l'hospitalité, qu'ils ont aimés sincèrement et qui se sont succédés sur cette terre adorée, à travers les époques de l'histoire.

The fallowing is a summary of my conclusion.

This research work dealt a topic related the several Algerian Arabic dialects framed within an approach fallowing many framed within an approach of the dialectology, relying essentially on the classical studies in which the importance of this dialectology study according to the previous .Last it tackled the different levels of analysis notably; morphology phonological and lexical .

The traditionalists had examined toughly each case mainly those to "ElAnànah" which consists to change the sound

Into the sound .And "El-Kachkacha"in which they turn the sound into and many other dialectal phenomena particularly insisting on the sound.

In order to study dialect appearance, language contact has been taken into account, due to human contact convergence and the milieu in which they have grown up. From the geographical situations of this beloved country, many nations have crossed our country because of this geographical situation, and that is why the fusion between(Autochthones

and the new comers) leads to mutual influences.

It is agreed that the sociolinguistic situation in our country didn't see a stability in the field of language either under the historical circumstances or political decision. Therefore the linguistic Algerian situation is considered as a "Diglossic" situation, the fact that a group of people talk two varieties, according to the context in which they are involved. The Algerian people are observed to make use borrowing foreign words into the Algerian Arabic. Accordingly many

linguists and historians consider that the great extent of the lexical wealth of our speech community has inherited for which it has conferred the local impression in the use of the Ancient Arabic dialect. They set up their hypothesis upon the ancient relations between the Libyan tribe and the inhabitants of the Arabic peninsula .They have evoqued in their works the immigration of the Yemeni aborigine across other horizon.

This in fact, led them to study the history of this country through inscription carved over rocks, and many others

Those researchers show us that this immigration was the move of people by which the number has increased or decreased according to the circumstances, and they concluded that those successive human immigrations were the major factor in the establishment of the Arabic language in Algeria, in an earlier time, and in a gradual way. Further more it is of crucial importance at this level to mention the effort made by different researchers in an attempt to study the linguistic characteristics of different forms of dialect of ancient Arabic. Some Arabic genealogists have assigned some Berber tribes which have been already classified in the "Baranes"clan, to an Arabo-Yemenite origin as the "Sanhadjah" and "The koutamah" .They bring their origins to the first "Himyar", where as the "Tamazight" genealogists trace back the Berberian origin to the "Zenata tribe" and affirm that this later is Arab and makes part of the "Moudhar's" descendants. Other investigators relate some tribes as "The Louata","The Houwarah" and other to the Arabic language. Other Arabic researchers have recognised that the arrival of the three tribes "The Bani Hillal","Bani Soulaimane" and "Bani Maqual" to the great Maghreb was brutal . In spite of this historical information, the researchers state, firmly, that these three tribes have greatly contributed to the implementation of the Arabic language with its

different dialects in our area. Linguists have particularly insisted that the popular Algerian dialect share many common phonetic proprieties, and lexical characteristics with the ancient Arabic dialect. This hypothesis justifies the fact that the inhabitants of some Algerian area use up to now some Arabic words "imported" by heir ancestors who had immigrated from "Yemen" and "from "Hidjaz" and this is mainly before the birth of the Christ(P.B.U.H). It was one among the reasons which had facilitated the acceptance of the Arabic language by the Berber people and they had permitted the birth of regional dialect, the different writings of the orientalists who have studied the linguistic situation in Algeria have been attentively examined , in this research. These scholars and erudites have encouraged and urged people to perform and use the dialectal variety and other local dialects as the main means of communication, the literary written expression and the social relation ship. The purpose was to weaken the Arabic language and to neglect it in an unconfessed way. This urge towards the usage of the Algerian dialectal forms and the great importance they give to this latest is not recent but its roots spread deep in past as well as the near past. They have collaboration with the churchmen who reached close link with the classical Arabic language and the Islamic religion. This seems to be the main way to a better comprehension of Islam. For this reason , they had provided and agreed on the greatest sacrifices in order to diminish the value and the importance of this language, and to move away and to banish Muslims forever.

The orientalists emphasized on the Arabic dialects, the French among them, have been devoted to the precise research in the Arabic dialects used by the populations of the great Maghreb in general and to the Algerian one in particular. They throw up all the light, they toughly examined different aspects of those varieties ie they

analysed the phonetic, lexical, morphological and syntactic ;most of particularities ones and they have put forwards proposals concerning the birth of the Algerian Arabic. The majority of them agreed to affirm that this Algerian dialect appeared in the progress of two periods . The first one was the consequence of the first wave of the Islamic carrier and particularly after the edification of fortress towns as "Kairaouane"and "Fes", on one hand; on the other hand after that the responsible of the new comers had realised that the interest taken from the antic cities of the country as "Constantine" "Tlemcen" and "Nedromah" . The 2nd period starts with the immigration of the Bedouin Arabic tribes, which the orientates have accused of wild beast (creature) and barbarians who are inhuman. It's true that these Bedouins were neither Angeles nor animals.

These "lords of culture and civilisation" forget – may be willingly or not- the linguistic continuation of these immigrants. These laters allowed the definitive implementation of our dialect and its generalization all over the national territory. These two phenomena were the conclusion of the Arabic researchers the orientalists concluded that the Arabic language was imposed to "the autochthones". Thus these laters had learned it under threat that is why they had